الجزء الثاني ١٩٤٣ السنة الأولى



الأدب والفن

زهرية «العائلة الخضراء» مما تحويه من رسوم الاسماك ذات اللون الاحمر يرجع تاريخها الى عهد كانج هسى (١٦٦٢ - ١٧٢٢).

مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأقطار


YARDLEY
Old English Lavender
TALC POWDER

B.S.A.

ثلاثة حروف مشهورة

يصعب ان تجد اى بلد فى العالم لم تبعث حروف .B.S.A والعلامة التجارية ذات الشعار الثقة والاعجاب بين خبرائها.

وليس هذا بغريب فلا يخلو طريق من طرق العالم من دراجات وموتوسيكلات .B.S.A واليوم ترسل جميع دراجات وموتوسيكلات .B.S.A الى جنود قوات الدول المتحدة. ولكن تعد الخطط لايام السلم. وعندما يحين هذا الوقت ستجد فى خدمتك طرازات احدث واجمل عن تلك التى جعلت هذه الحروف الثلاثة مشهورة فى العالم.

BSA

BICYCLES & MOTOR CYCLES

دراجات و موتوسيكلات

B.S.A. CYCLES, LTD., BIRMINGHAM 11, ENGLAND.



الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها . وقرار هيئة التحرير فما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى . وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة ما إذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد . وعنوان رئيس التحرير :—

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

خواطر فى الأدب العربى

بدء التأليف النثرى

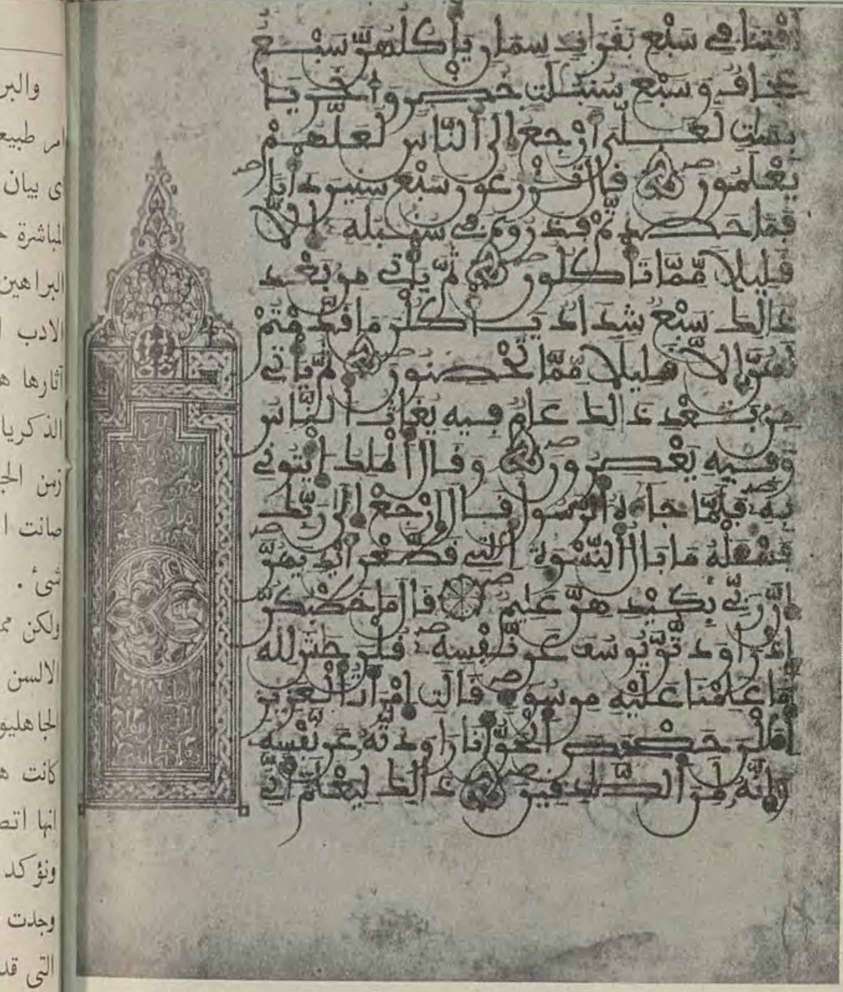
بقلم المستشرق الكبير الاستاذ هـ. ا. ر. جب

ان فى اطلاقنا على الملاحظات التى نعرضها للقراء فى هذا المقال اسم (خواطر) لا (بحوث) اشارة الى تفرقة هامة بين الاسمين . فمن كلمة (بحوث) يقصد البحث والتنقيب فى كل المواد التى لها علاقة بالموضوع المنتخب، يتبعه اختبار ونقد مفصل لتلك المواد وكل ما كتبه عنها العلماء الحديثون والاقدمون . وهذه الطريقة العلمية لازمة بنوع خاص عند محاولة الوصول الى نتائج راسخة عن اى معضلة او قضية لم يتم بعد اكتشاف كل ما يتعلق بها ومنها القضية المذكورة عند رأس هذا المقال . بيد ان هذا ليس ما ننوى تسجيله هنا والا لما تناسب المقال مع صفة هذه المجلة . فسنتبع طريقة اشبه شئ بطريقة الرسام او المصور الذى ينتخب من بين مجموعة كبيرة من التفاصيل التى تظهر امام عينيه نخبة لها اهمية خاصة فى نظره هو نفسه ثم يشكلها فى اطار من صنعه كذلك . فقيمة التلوين والتصوير، اذا كان ناجحا، ان يجعل فى قدرة الناظر او المشاهد ان يدرك بطريقة مباشرة وبوضوح شيئا عن جوهر الموضوع الذى يقدمه له الرسام . اما القياس على ذلك النجاح فيتوقف على مدى اظهار المصور لجوهر الموضوع عن طريق اختياره للتفاصيل وعرضها للمشاهد . بيد انه ليس للمصور حق الحكم على نجاحه او فشله لان هذا الحكم انما هو من حق الآخرين .

والآن لنعد الى الموضوع، لقد اكد البعض انه كان للعرب بالفعل آداب نثرية فى العصر الجاهلى . وهنا نسأل، هل من الممكن ان نصدر

أمر بكتابة هذا السبع الشريف وأخوته
المقر الكريم العالي المولوي الأميري
الركني استاذ الدار العالية أعز الله نصره
وكتب محمد بن الوحيد حامدا لله تعالى
ومصليا على سيدنا محمد وآله الطاهرين
وأصحابه الأكرمين ومسلما وذلك في جمادى
الآخرة سنة أربع وسبعمائة للهجرة

ثال رائع من الخط النسخ يرجع تاريخه الى سنة ٧٠٤ هجرية .
(المتحف البريطاني .)



جزء من سورة يوسف من مخطوط قديم للقرآن الكريم بالخط المغربى .

بيانا قاطعا فى هذا الصدد سواء اكان بالتأييد او الدحض؟ اننى اعتقد انه لم يقم برهان حتى الآن على وجود اى آداب نثرية مدونة بين العرب الذين سكنوا جزيرة العرب . ويزعم من ناحية انه ربما وجدت كتب مدونة فى (الحيرة)، وانه وجدت بالفعل بعض المقيدات التاريخية هناك فهذا لا مراء فيه ولكن ما بعد ذلك لا يعدو ان يكون مجرد افتراض .

والبرهان على هذا البيان السلبى هو بحكم الضرورة غير مباشر وهذا امر طبيعى لانه يندر ان يثبت على قضية سلبية بطريقة مباشرة . ففى حالة ى بيان ايجابى لا يستدعى الامر سوى التقدم بالبراهين الواضحة او المباشرة حتى يثبت صحة البيان بينما لا يثبت البيان السلبى لمجرد غياب هذه البراهين المباشرة او الواضحة . ومع كل، فلو انه وجدت كتب مدونة من الادب المنثور فى جزيرة العرب فى العصر الجاهلى لعد عجيبا اختفاء آثارها هذا الاختفاء الكلى حتى من احاديث العرب المنقولة . اذ ما هى الذكريات التى صانتها لنا احاديث العرب المنقولة عن النشاط الادبى فى زمن الجاهلية؟ نجد انه الى جانب الشعر وبعض الامثال والحكم قد صانت ايضا بضعة امثلة من البلاغة والبيان وبعضا من القصص، ثم لا شئ . هذه المنتجات قد وجدت بلا شك كما تؤكد لنا الاحاديث المنقولة ولكن مما يستحق الاعتبار ان هذه كلها من انواع الادب التى قد تناقلتها الالسن شفويا لا كتابيا، مثل الشعر القديم . بل اننا لنشك فيما اذا كان الجاهليون قد اعتبروها كمنتجات فنية اعتبارهم للشعر كما نشك فيما اذا كانت هذه المنتجات قد تنوقلت لاكثر من جيل او جيلين الا اذا اتفق انها اتصلت اتصالا وثيقا بقصيدة عصماء . ولكن مع اننا نعترف بل ونؤكد وجودها الا ان احاديث العرب المنقولة ذاتها لم تدع مطلقا انها وجدت على صورة تأليف مدون، ويتفق العلماء بالاجماع على ان الامثلة التى قد تنتخب كنموذج لقصص الجاهلية تنسب ولا ريب، بمراعاة اسس النقد الادبى البينة، الى عصر متأخر . والذى تجدر ملاحظته فوق ما تقدم انه عند ما بدئ فى اثبات مؤلفات النثر العربى كتابيا بعد الهجرة لم تكن الكتب التى دونت اولاً هى كتب الحكم ولا البلاغة او القصص، ولو ان الجاهليين زاولوا كتابة مثل تلك الكتب بالفعل فى جزيرة العرب لكان من المنتظر ان يوالوا كتابتها بعد الهجرة، كما تبع شعراء القصيد فى عهد بنى امية نموذج القصيد فى العصر الجاهلى .

بل اننا لنجد من البراهين غير المباشرة ما يكون اشد قوة عند

تأملنا فى تطورات آداب النثر العربى فى عصر بنى امية واوائل العصر العباسى . فكما يعرف الجميع لقد كان العرب يملكون حينذاك مدونا، الا وهو القرآن . وعلى الرغم مما كان للقرآن، كما سنرى، من اثر كبير على نهوض التأليف النثرى المدون الا ان القرآن فى نفسه لم يجعل فكرة كتابة الادب امرا مألوفا لدى العرب وهذا يرجع الى ان القرآن فى حد ذاته يعد كتابا فريدا، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى — انه مع وجود عدد من نسخ القرآن — فان اغلبية القراء لم يقرأوا القرآن بل كانوا يتلونه غيابيا .

وعلى هذا فان العوامل التى ادت الى تداول الكتب المدونة كانت من نوع آخر وكان بعض هذه العوامل مادية والبعض الآخر عوامل نفسانية . فاول العوامل المادية هو توطيد دعائم اسلوب او طراز موحد للكتابة العربية ولا شك ان تعدد نسخ القرآن كان اكبر عون على توطيد ذلك الاسلوب ولكن المرجح ان استخدام اللغة العربية فى الشئون الادارية كان وسيلة فعالة كبرى على نشر العلم بطراز معهود فى الكتابة العربية، ومن الثابت ايضا ان هذا الطراز لم يتم تطوره الكامل بتحقيق حروف الهجاء حتى اواخر القرن الاول بعد الهجرة . وهناك عامل آخر كان له بعض التأثير (وان لم يجب ان نبالغ فيه) ذلك هو انتشار المواد التى يكتب عليها فنى خلال القرن الاول كان ورق البردى هو المستخدم فى العادة ولكن ورق البردى مثل الرق — نوع من الجلد الابيض — غالى الثمن ولذلك كان يقتصد فى استخدامه حتى فى الدواوين الادارية، وعندما ندقق النظر فى الوثائق المحفوظة فى المتاحف الاثرية نرى ان وثائق هامة مذيلة بامضاء الحكام قد دونت على قصاصات من ذلك البردى، فليس من المحتمل ان يمتلك الافراد العاديون كميات كبيرة من ورق البردى لتصرفهم الخاص، وفى الواقع لقد انتشرت الكتابة بسهولة بين عامة الافراد لاول مرة عقب اختراع الورق المصنوع من الخرق ومن الثابت حدوث هذا فى اواسط القرن الثانى . وقد اسس اول مصنع للورق فى بغداد

مخطوط عربى قديم يبين الحروف الكوفية . (المتحف البريطانى) .

فى عهد هارون الرشيد وما حل اواخر القرن الثانى حتى وجد الورق بوفرة ورخص فى الثمن .

مثل تلك العوامل المادية قد هيأت الظروف الصالحة التى فيها ترعرعت العوامل النفسانية . من اهم تلك العوامل بكل تأكيد كان انتشار الاسلام بين شعوب سوريا والعراق وبلاد الفرس وامتزاجهم الكلى بالعرب، ومن الاقوال التى اعتاد الانسان سماعها ان العرب مدينون للفرس فى معظم التطورات الحديثة التى جدت على الثقافة الاسلامية . حقيقة لقد عمل الفرس كثيرا على النهوض بمستوى



صحيفة من مخطوط قديم (القرن الخامس او السادس) به نصوص بالعربية والارمنية والقبطية والسريانية والحبشية . (المتحف البريطانى .)

الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى وعلى الاخص فى مستوى الجمال الذوقى .

فيه والعادة اجازه فيه

باب بيع المصراه والرد بالعيب

المصريه تدليس يثبت به الخيار في الابل والبقر والغنم
اذا علم بها بعد البيع فيثبت له الخيار الى تمام ثلثه ايام
وقيل اذا علم بالتصريه ثبت له الخيار على الفور وقال ابو
اسحق من الثلث اعتبرت لمعرفه التصريه فانها لا تعرف
فيما دونها فاذا انقضت الثلث استبان له التصريه يثبت
له الخيار على الفور وقبل انقضايها لا خيار له وبقولنا قال مالك
واحمد وابو يوسف وزفر وقال ابو حنيفه ومحمد لا يثبت الخيار
بالتصريه بحال وقال داود لا يثبت الخيار بالتصريه في
غير الابل والغنم فاذا ردها رد معها بدل اللبن وقد اختلفت
الروايه فيه فروى ابو هريره رد معها صاعا من تمر وروى ابن
عمر رضي الله عنه مثل او مثلي لبنها قمحا فقال ابو العباس بن
سريج يرد في كل بلد من غالب قوته وقال ابو اسحق
الواجب صاع من تمر وحديث ابن عمر محمول عليه اذا
كان اللبن اكثر قيمته من التمر وعلى هذا اذا اعوز التمر

صحيفة من نسخة قديمة من المبسوط لابى بكر النيسابورى كتبت فى سنة ٤٠١ هجرية بقلم كموش بنت عبد الله الرومية .

ولكن الارجح ان اكتتابهم الاصلى فى ناحية الآداب المدونة كان يقل عن اكتتاب الشعوب المتكلمة باللغة الآرامية لان الآداب المقيدة فى بلاد

الفرس فى العهد الساسانى كانت قليلة نسبيا وما وجد منها كان فى اكثره اما آداب البلاط (مثل كتاب الملوك وكليلة ودمنة) او آداب دينية ويرجع السبب فى هذا الى العوامل المادية السابق ذكرها كما كان الاسلوب الكتابى المستعمل بين الفرس فى هذا العهد اسلوبا ثقيلا غير مهذب لا يصلح لنشر ثقافة ادبية عامة هذا الى جانب ندوّرة ادوات الكتابة وارتفاع اثمانها، اما فى اللغة الآرامية فكانت هناك حضارة ادبية ذائعة الصيت وواسعة الانتشار موروثة فى اغلبها من الحضارة اليونانية كما انهم امتلكوا كتبا آلت اليهم من اجيال سبقتهم .

ولما كانت مدينة (البصرة) فى واقع الامر هى المركز الرئيسى لدراسات الادب العربى فى مبدأ الامر فهذا يشير الى ان احد العوامل التى عملت على تشجيع تلك الدراسات كانت (اكاديمية) جندى شابور ومع ان تلك الاكاديمية وجدت فى الاراضى الفارسية فلم تكن مركزا للدراسات الفارسية بقدر ما كانت مركزا للدراسات الآرامية وكان اغلبية قوادها من العلماء من النسطوريين، بيد انها كانت فى نفس الوقت مكانا عاما لاجتماع الثقافات — الفارسية والهندية، واليونانية والآرامية ايضا — وما ناولته للعرب كان مزيجا من كل هذه الثقافات .

وعلاوة على ما تقدم فلكى ينهض اى نوع من الثقافات الادبية يجب ان يتوفر عدد كاف من الاشخاص الذين يميلون للادب من جهة ويتوفر لديهم فراغ من الوقت ليعتنوا به، وتوفر وقت الفراغ لدى طبقة من الناس لا يكفى فى حد ذاته لخلق ثقافة ادبية على اى حال كما يدلنا التاريخ مرارا، بل يقينا لقد وضح لنا التاريخ ذلك مرة اخرى فى نفس تلك الفترة من تاريخ العرب اذ لقد وجدت مثل تلك الطبقة العاطلة فى الواقع فى مكة فى القرن الاول ومع انها قد اخرجت لنا مجموعة فائقة من الشعراء الا انها لم تخلف آدابا نثرية من اى نوع كان. وهذا بكل تأكيد من اقوى الادلة على انه لم توجد تقاليد خاصة بتدوين الآداب حتى فى مكة فى العصر الجاهلى . ولكن طائفة اخرى من الافراد العاطلين اى من توفرت لديهم اوقات

الفراغ قد ازدهرت فى العراق فى اواخر عهد الخلفاء من بنى امية واوائل عهد الخلفاء العباسيين نتيجة نمو حياة الاستقرار والحياة التجارية وبين هؤلاء اخصبت البذور بالطريقة السالفة الذكر وانتجت اول ثمار الادب .

ان العوامل التى لخصناها حتى الآن – تطور ادوات الكتابة والامثلة والنفوذ الذى كان للحضارات السالفة فى غربى آسيا ونهوض طبقة من الشعب يتوفر لديها وقت الفراغ – كافية فى حد نفسها لتعلل اول بزوغ للآداب العربية المدونة وقد اخرجت هذه العوامل، مستقلة عن العامل الذى سوف نناقشه الآن، ذلك النوع من الآداب العربية الصميمة الذى يطلق عليه اسم (الادب) وقد تتوفر لدينا الفرصة مرة اخرى للكتابة عن هذا الموضوع وسنكتفى بهذا القدر الآن .

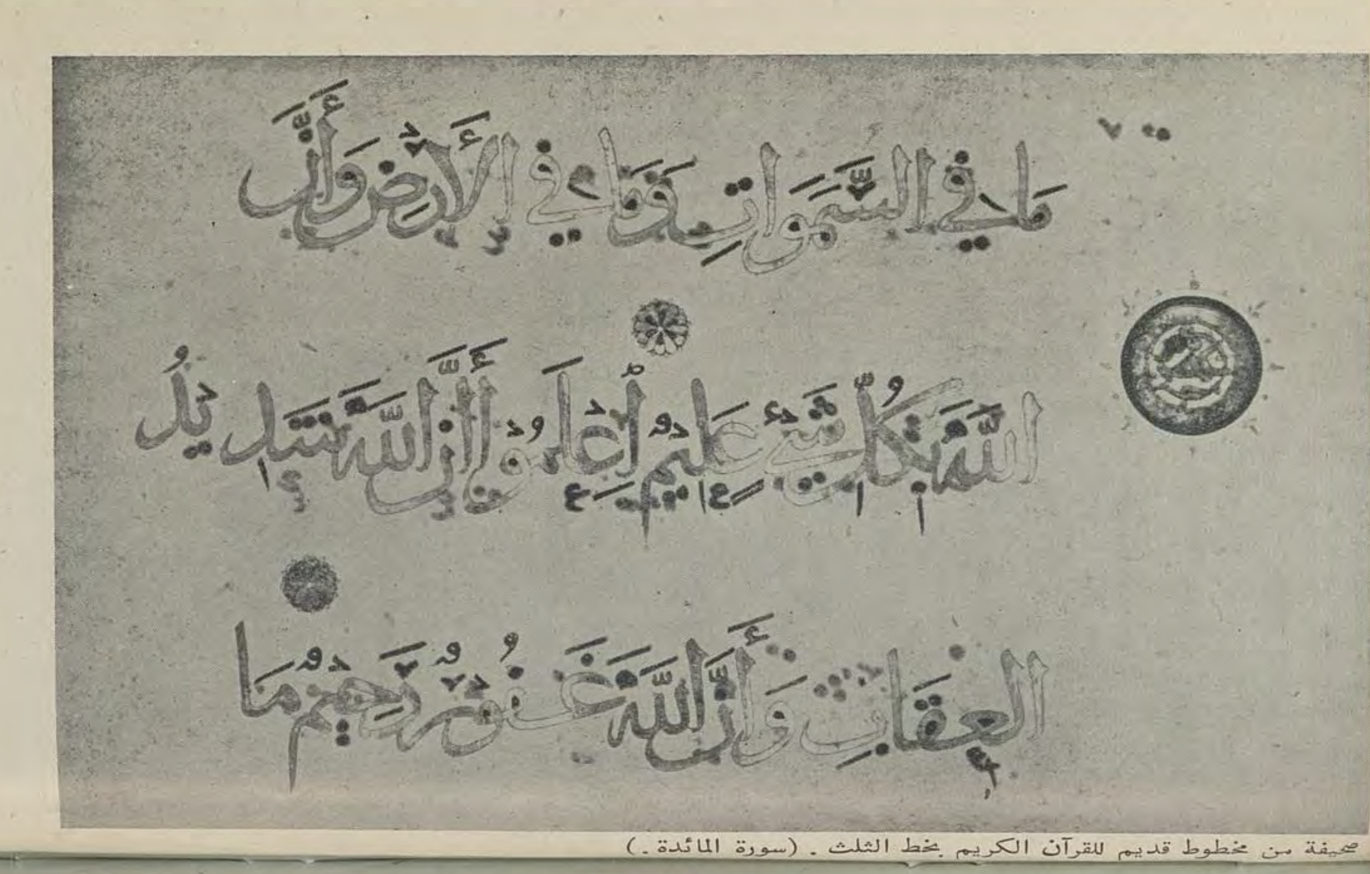
اما ذلك العامل الآخر الذى، بالاضافة الى الاسباب السالف ذكرها، يدخل فى فاتحة الانشاء العربى فله ايضا اصلان احدهما مادى والثانى نفسانى. واما الاصل المادى فهو الاضطرار الى ارشاد المنتمين الى دين الاسلام بلغة القرآن لا من بين الجاليات غير العربية فحسب بل الاجيال العربية ايضا التى كانت تزداد نموا فى الامصار. وكان الاصل النفسانى هو ما امتاز به العرب من شعورهم القوى نحو لغتهم واعجابهم الشديد بوفرة تلك اللغة وتراكيبها ولو كان هذا الفخر باللغة العربية والاعجاب بها قويا الى هذه الدرجة حتى فى ايام الجاهلية فما بالك به وقد نزل القرآن بتلك اللغة ونزح العرب على اثر ذلك الى خارج شبه جزيرة العرب ليحكموا اوطانا جديدة !

وهكذا فقد كان امرا طبيعيا، نظرا لشعور العرب هذا نحو لغتهم والرغبة فى المحافظة عليها من الفساد، ان تكون اللغة العربية اول موضوع دراساتهم الادبية حتى ولو كان عنصر الادب (والمقصود هنا الادب المكتوب) لم يغد ان يكون مجرد بذرة . وهذه هى الحقيقة التى تميز الادب العربى عن معظم الآداب الاخرى ان لم يكن عنها جميعها،

اذ فى الشعوب الاخرى جاء تطور دراسة اللغة من الناحية العلمية متأخراً نسبيا ولم يكن للطرق الفنية فى قواعد النحو والتحاليل اللغوية نفوذ كبير على انواع وصفات ادبهم ولكن فى اللغة العربية — سواء اكان نتيجة هذا خيرا ام شرا — كانت التطورات التالية فى الادب العربى تقع تحت تأثير الدراسات اللغوية التى تمت فى عصور التكوين .

لما كان موضوع هذا المقال هو فواتح تدوين كتب النثر فلست انوى ان اتصدى لموضوع فاتحة الدراسات النحوية فى اللغة العربية اذ كل ما يهمنا هو الشواهد او الحجج التى امد بها تاريخ الدراسات النحوية موضوع هذا المقال . وتاريخ تلك الدراسات، اى النحوية، يناسب موضوعنا بنوع خاص لان معلوماتنا المتعلقة بها، على الرغم من وقوع كثير من الالتباسات فى مراحلها الاولى، تفوق معلوماتنا فى اى دراسات اخرى ولانه لما كانت الدراسات النحوية قد تحولت الى دراسة علمية منظمة منذ وقت مبكر فانها ترينا بوضوح النشوء والتقدم التدريجى الذى مر به الادب المسطر .

ولو بدأنا بفحص الفهرست لابن النديم وهو من اهم المصادر التى تحت ايدينا لاستقاء المعلومات المتعلقة بفاتحة الادب لرأينا تفاصيل وحقائق تهمنا كثيرا، فيخبرنا هذا الكاتب مثلا ان اقدم مجلد رآه عن النحو كان يحتوى على اربع صفحات مدونة على ورق صينى ترجمتها (هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من ابى الاسود رحمة الله عليه بخط يحى بن يعمر) . هذه الجملة كما هو واضح تدل على ان محتويات هذه الورقات الاربع كانت عبارة عن مذكرات عن تدريس شفوى (كلام) وقد دونها احد تلامذة ابى الاسود، وفى الواقع تتكرر عبارة (روى عنه فلان وفلان) فى ما يحكى ابن النديم عن تدريس ابى الاسود . وعند ما نتحول الى ادباء الجيل الذى يتلوه لا نجد تغيرا يذكر فى الموقف، فيقول ابن النديم عن عيسى ابن عمر الثقفى «وله من الكتب كتاب الجامع [و] كتاب المكمل» ولكنه يضيف مباشرة « وقد فقد الناس هذين الكتابين مذ المدة الطويلة ولم تقع الى احد علمناه ولا خبر احد انه رآهما » واذ يروى لنا ابن النديم



صحيفة من مخطوط قديم للقرآن الكريم بخط الثلث . (سورة المائدة .)

ان عيسى بن عمر كان ضريرا فان لدينا كل عذر فى ان نشك فيما اذا كانت هذه الكتب قد دونت على الاطلاق او تعدت ان تكون مواد منظمة درسها شفويا فتداولتها السنة بعض تلاميذه. بيد ان ما يروى لنا عن (ابى عمرو بن العلاء المازنى) لمما يستلفت النظر حقيقة اذ يقول ان هذا الأديب كان نساخا لا يمل ولا يكل وان اكوام كتبه قد ملأت حجرة حتى لامست سقفها الا انه اتلفها كلها فى نوبة من الحماس الدينى. وجلى واضح هنا ايضا ان كلمة «كتب» انما يقصد منها كتابات او على الاكثر مذكرات ومع كل فان القصة ولو تحال مبالغا فيها الا انها تشير الى زيادة انتشار ادوات الكتابة بين فئة الادباء وان كان ابو عمرو نفسه قد علم تلميذه الاصمعى كلاميا وليس كتابيا.

من هذه العبارات وغيرها مما يشابهها تتوفر لدينا ادلة كافية للاشارة الى انه فى دوائر العلوم اللغوية الاولى كانت الدراسات كلها شفوية وعلى الرغم من ان الاساتذه والتلاميذ ربما دونوا كتابيا بعض المذكرات الا ان هذا شئ يخالف التأليف او تداول كتب كاملة التسطير. بل وحتى عندما نصل الى الكتب الشهيرة مثل كتاب العين للخليل بن احمد وكتاب سيبويه يظل موضوع التأليف مضطربا مشكوكا فى امره، فانظر مثلا ما يقوله مؤلف الفهرست عن كتاب العين. «قال ابو بكر بن دريد وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان واربعين [ومائتين] قدم به وراق من خراسان وكان فى ثمانية واربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا وكان سمع بهذا الكتاب انه بخراسان فى خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق وقيل ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل احد ولا روى فى شئ من الاخبار انه عمل هذا البتة وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له واحذاه طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث».

اما عن كتاب سيبويه فهذا ما يقول «والطريق الى كتاب سيبويه

الاخفش [المجاشعى] وذلك ان كتاب سيبوية لا يعلم ان احدا قرأه عليه ولا قرأه سيبويه ولكنه لما مات قرئ الكتاب على الاخفش » .

وهكذا فمن تاريخ هذه الكتب الهامة وكثير غيرها مثل الموطأ لمالك بن انس والسيرة لمحمد ابن اسحق نرى انه حتى النصف الثانى من القرن الثانى لم تعلق اهمية لفكرة انتساب التأليف لمؤلف معين فكان «المؤلف» هو عبارة عن الاديب الذى ينظم مادة الكتاب او ينظم محتوياتها وهذه المواد كانت تتداولها تلامذة المؤلف شفويا ولا تدون فى صورة مقرر كامل الا بعد وفاته بعدة سنوات وقد حدث كثيرا انها دونت فى صور كتابية مختلفة كما هو معلوم فى حالة كتاب «الموطأ»، ولا تتكون فكرة التأليف كما يفهمها الادباء الا بعد ان تستقر سنة تسطير الكتب والذى نراه واضحا فى نشاط القرن الثانى ليس سنة ادب مسطر بل سنة التدريس الشفوى ينقل عن طريق رواة، ولا يناقض هذا كون هؤلاء الرواة قد دونوا فى بعض المناسبات مذكرات عن دروس من سبقوهم .

وتزداد هذه النتيجة وضوحا عندما نختبر ما وصل الينا من تلك الاعمال التى تنسب الى الجيل التالى من الادباء اللغويين، ولا ينسب لهؤلاء فى الغالب مؤلفات كبيرة شاملة مثل كتاب سيبويه مثلا بل تقرن اسماؤهم بعدد كبير من الرسائل القصيرة عن موضوعات معينة تتعلق باللغة او الشعر العربى، ومن اشهر هؤلاء العلماء الاصمعى الذى توفى فى سنة ٢١٦ هجرية والذى قيل انه كتب او املى عددا من الرسائل فى مواضيع شتى مثل الابل والخيل والنبات والاحوال الجوية وغيرها . وقد يتخيل لنا من هذه البيانات اننا قد وصلنا عندئذ الى عهد من التأليف الادبى فى الصورة التى نفهمها اليوم من هذا التعبير فلنتوجه ببصرنا الى الكتب ذاتها كما ورثناها .

والكتاب الذى يمكننا ان نستدل منه على اوضح صورة للعملية الادبية هو كتاب «فحولة الشعراء» وها كم فاتحة الكتاب .

ذبح البقرة والشاة أضحى الصيد ترك البرغوث
قصع القملة صدغ النملة عن ابى عبيد عن الاحمر وحطم
أحسن وأفصح لأن القرآن نطق بذلك فى قصة سليمن
صلى الله عليه وسلم أطفأ السراج أخمد النار
أجهز على الجريح **فصل** فى تفصيل أحوال
القتل اذا قتل الانسان القاتل ذبحا قيل ذعطه
وسحطه عن الاصمعى فان خنقه حتى يموت قيل ذرعه
عن الاموى فان احرقه بالنار قيل شيعه عن ابى عمرو
فان قتله صبرا قيل أصبره فان قتله بعد التعذيب
وقطع الاطراف قيل أمثله فان قتله بقود قيل
أقاده وأقصه

الباب السابع عشر

فى ذكر ضروب الحيوان وأوصافها وأجناسها

صحيفة من مخطوط عربى يرجع تاريخه الى سنة ٦٠٠ هجرية . (مكتبة جامعة كمبردج .)

«قال ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى قال ابو حاتم سهل ابن محمد بن عثمان السجزى سمعت الاصمعى عبد الملك بن قريب غير مرة

يفضل النابغة الذبيانى على سائر شعراء الجاهلية وسألته آخر ما سألته قبيل موته من اول الفحول قال النابغة الذبيانى ثم قال ما ارى فى الدنيا لاحد مثل قول امرئ القيس (وقاهم جدهم ببنى ابيهم وبالاشقين ما كان العقاب) قال ابو حاتم فلما رآنى اكتب كلامه فكر ثم قال بل اولهم كلهم فى الجودة امرؤ القيس له الحظوة والسبق وكلهم اخذوا من قوله واتبعوا مذهبه . »

ومن هذه العبارات نفهم انه من غير الممكن باى صورة من الصور ان يقال ان الاصمعى قد سطر كتابا عن فحولة الشعراء فنستطيع أن نقول ان مهمة الاصمعى كانت ايجاد فكرة الكتاب ولكنه قبل ان يصبح قطعة من التأليف الادبى قد مر بمرحلتين اخريين فنقل عن طريق الرواية لا طريق الكتابة بواسطة ابى حاتم السجزى وفى النهاية نسقه وسطره ابن دريد او شخص آخر املاه عليه ابن دريد . وان امعنا النظر فى الكتب الاخرى الباقية التى تنسب الى الاصمعى مباشرة لوجدنا ان اسانيدها تدلنا على امثال تلك الاحوال بعينها فمثلا كتاب الدارات يستهل هكذا «قال ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى حدثنى ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى » ويختتم هكذا «تم كتاب الدارات والحمد لله اولا وآخرا وهو عن ابى سعيد الاصمعى رواية ابى حاتم السجستانى . »

الا اننا فى هذه المرة لا نخبر عن الشخص الذى سطر الكتاب فى آخر الامر، ولكن فى مقدمة كتاب النبات والشجر يوضح الاسناد هذا الامر وضوحا لا غبار عليه اذ ينتهى هكذا «اخبرنا ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد قراءة عليه وانا اسمع فى ذى الحجة سنة ست وثلثمائة قال اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى عن ابى سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى » .

وهكذا فان كتاب الكرم ايضا الذى يقتبس جزئيا من تدريس الاصمعى قد نقله السجستانى الى ابى سعيد الحسن بن الحسن السكرى . وهذه الظاهرة بعينها تبدو فى كل المدونات الاولى التى خلفت لنا وهى تامة

الاسناد، بيد انه يحدث ان تخلف لنا هذه الكتب فى نسخ متأخرة حيث اغفل اسناد الكتاب .

وسنسرد هنا مثلا واحدا اخيرا لانه يزيد موضوع اسناد التأليف الى مؤلف نورا ووضوحا، هذا هو كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١ هجرية الذى يستهل هكذا «قال ابو محمد انا (اى اخبرنا) ابو طاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر بن بجير القاضى انا ابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى قال انا عبد الله محمد بن سلام الجمحى» .

فى هذا المثل نجد ناقلين هما ابو خليفة وابو طاهر القاضى وعندنا بعض التفاصيل من موارد اخرى بان هذا الكتاب قد نقله غيرهما من تلامذة محمد بن سلام . وفى الفهرست، كما لاحظ البروفسور هل المصدر الاول لكتاب طبقات الشعراء، ذكر ابن النديم كتابا يطلق عليه نفس ذلك العنوان منسوباً لا الى محمد بن سلام فقط بل الى ابى خليفة وغيره من الناقلين ايضا . ومن هنا يقال ان كتاب طبقات الشعراء قد الفه ثلاثة مؤلفين ولكنه هو نفس الكتاب الذى ينسب الى الجميع، فاذا لاحظ القارئ هذه النقطة دعه بعد ذلك يفحص فى الفهرست قائمة الكتب المنسوبة الى الاصمعى وابى حاتم وابى دريد ومن هنا يصل الى النتيجة التى يراها هو. واننى متأكد باننا لو كنا نملك بعضا من مئات الكتب التى تذكر فى كتاب الفهرست وغيره من الكتب عن الكتب والتى تنسب الى ادباء القرن الثانى لوجدنا نفس الظاهرة تتكرر مرات عديدة .

وبناء على ذلك نتوصل من كل هذا الى ان كافة النشاط اللغوى فى القرن الثانى والنصف الاول من القرن الثالث لم يكن معينا ولا محددا او ثابتا وكان يتلاءم فى ابرز مميزاته الى غيره من النشاط الادبى والدراسات الادبية المعاصرة، وبالاخص ان المؤلفات اللغوية المعينة، بما يفهم من هذه العبارة اليوم، والتى تنسب الى مؤلفين بالذات لا يمكن ان تؤرخ الى ما قبل اوائل القرن الثالث بعد الهجرة .

انا نرمى الى ان نقدم لقرائنا فى هذه السلسلة الجديدة بعض قصص تبين بصورة واضحة بطولة الانسان التى لا تقهرها العقبات. وقد وقعت بعض هذه الحوادث حبا فى المغامرة فقط وبعضها فى سبيل نفع الانسان او مصلحة العلوم وبعضها لاسباب اخرى متنوعة ولكنها جميعا يربطها معنى اساسى واحد — هو ايمان الانسان البسيط وثقته فى الله وفى توفيقه.

رحلة عابسة

بقلم ستابلتون ترويل

فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ غادرت السفينة «ترا نوفا» ميناء كرايستشيرش فى نيوزيلندا وعليها ٦٥ رجلا قصدوا بشجاعة لا تقهر مواجهة اخطار وصعوبات مجهولة فى طريقهم الى اكتشاف القطب الجنوبى. وكانت هذه الجماعة مكونة من طاقم رجال السفينة وبعض رجال علمى الجيولوجيا والمساحة من اصحاب الخبرة والمراس وبعض رجال آخرين للقيام باعمال التخزين وبناء الاكواخ وكذلك جماعة من الضباط يقودهم الكابتن روبرت فالكون سكوت من ضباط البحرية الملكية البريطانية. وكان من بين هذه الجماعة عدد كبير من رجال الجيولوجيا وكان احدهم متخصصا فى علم الجغرافيا الطبيعية، كما كان من بينهم بعض رجال علوم وظائف الاعضاء والطبيعة والمساحة مما لم يسبق له مثيل فى اية بعثة استكشافية حاولت قبل ذلك اكتشاف القطب. وكان مع هذه



الاعلى: منظر لجزء من ظهر المركب «تيرا نوفا» اثناء رحلتها صوب الجنوب.
ويمكن رؤية بعض الكلاب التى تجر الزلاقات.
الاسفل: صورة رائعة لقاعدة بعثة سكوت الشتوية. ويمكن رؤية قمة اريبس من بعد.

البعثة فوق المؤن التى حملت بها السفينة ٣٣ كلبا من الكلاب المعدة لجر الاحمال على الجليد و١٩ حصانا صغيرا وثلاث زلاقات تسير بقوة الموتور .

وقد واجهت السفينة فى رحلتها صوب الجنوب جوا سيئا للغاية وعواصف ثائرة فاهتم الجميع بحفظ المخزونات والبضائع والاعتناء بشأن الخيول الصغيرة التى كان الاعتماد عليها كبيرا والتى ساءت صحتها بسبب الضربات الشديدة التى كانت تتحملها السفينة بفعل البحر الثائر . وفى يوم ٧ ديسمبر اى بعد سبعة عشر يوما من يوم اقلعت السفينة ظهرت اولى علامات الجليد . ومن ذلك الوقت اخذت الثلوج تقطع على السفينة طريقها باستمرار مما عطل من سرعتها . وقد اثبت سكوت فى تقاريره ان السفينة فى خلال ٢٠ يوما لم تستطع ان تبحر فعلا اكثر من تسعة ايام وانهم فقدوا تسعة ايام ونصف يوم عندما احاطت بهم الثلوج فلم يستطيعوا التقدم وانهم فقدوا يوما ونصف يوم يحاولون قطع طريقهم خلال الثلوج المتراكمة مما اضطرهم الى استنفاذ كمية ليست بالقليلة من المخزون من الفحم . وكان من دواعى فرحهم وابتهاجهم ان شاهدوا ارضا فى يوم ٣١ ديسمبر .

وفى يوم ٤ يناير سنة ١٩١١ القت السفينة مرساها عند رأس كروزير وافرغت حمولتها فى ظرف اسبوع . وقد حدث اثناء الافراغ ان فقدت احدى الزلاقات التى تتحرك بالموتور فى حطام الثلوج وهى الزلاقات التى كانت هذه الجماعة تعتمد عليها الى حد كبير . ثم بدأت الجماعة تعد كوخا لتتخذه كقاعدة اساسية ثم اودعت المؤن فى مكان امين وتم ايواء الحيوانات بعناية واخذت المقاييس الجوية وقامت بابحاث جيولوجية وعلمية .

ولم تكد الجماعة تتم انزال معداتها من السفينة حتى بدأت فرق منها تعد المخازن والمحطات التى لا بد منها عند بدء الرحلة الاستكشافية للقطب . وقد حدث فى اثناء عودة فرقة من تلك الفرق الى القاعدة انها

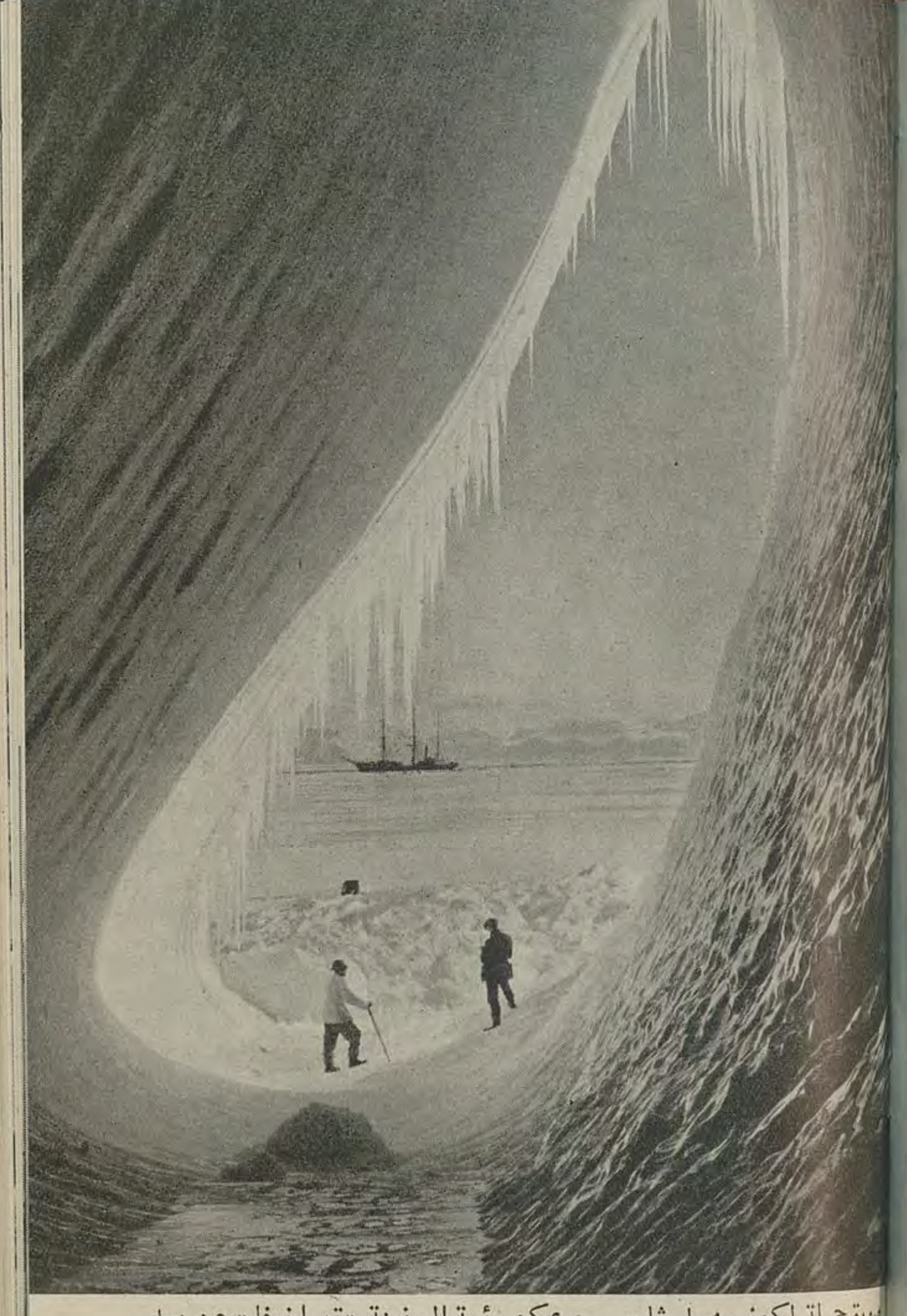
قررت حادثا هاما وهو ان آمندسن المكتشف النرويجى كان قد ضرب خيمه فى خليج ويلز . ومع ان هذا الخبر قد ازعج سكوت ، لان خليج ويلز اقرب الى القطب الجنوبى بنحو ٦٠ ميلا من الطريق الذى كان سكوت قد رسمه لنفسه، الا انه قابله بثبات وصمم على الاستمرار فى طريقه كما لو كان الحادث لم يقع اصلا .

وفى خلال المدة التحضيرية للرحلة التى رسم فيها جميع الخطط فى الكوخ اجريت ادق الابحاث الجوية ودرست كل التفاصيل الجغرافية . وكانت هذه الابحاث فى مجموعها اهم واكمل ابحاث تمت عن هذا الجزء من العالم وامدت التقارير التى عاد بها من كتبت له الحياة من اعضاء هذه البعثة رجال العلوم بمعلومات قيمة فيما يختص بتكوين طبقات الارض فى النواحى القطبية .

وقد قرر سكوت ان صحة جميع اعضاء البعثة كانت على اتمها وتكلم باعجاب شديد عن كليسولد الطباخ الذى كان الكثير من النجاح منوطا بكفاءته . وكان كل رجال البعثة فى حالة معنوية جيدة وقد احتفظوا جميعا حتى آخر لحظة بروح السعادة والزمالة التى تسودهم مع ان حياة العزلة والوحدة التى يحيونها كانت اهلا لان تلهب شعورهم بالحنين الى ارض الوطن .

وفى يوم ٣ مارس حلت بالبعثة كارثة عظيمة اذ حمل التيار كتلة من الجليد ربط عليها تسعة احصنة فجرفها ولم تنجح جهود رجال البعثة فى انقاذ هذه الحيوانات المسكينة التى فقدت كلها واستلزمت هذه الكارثة مراجعة كل الخطط التى اعدت للقيام بالرحلة الى الجنوب .

وفى يوم ٢ اغسطس عادت احدى الفرق الى القاعدة الرئيسية بعد خمسة اسابيع واجهت خلالها اشد ما يمكن ان يتعرض له الانسان من متاعب وصعاب وحدث افرادها عن شدة الزوابع والعواصف الثلجية التى وصلت الى درجة وسرعة لا تصدق . ولكنهم عادوا مع ذلك بفضل ثباتهم بمعلومات كانت جديدة عن حياة طائر الغلموت، واضافة الى ذلك–



صورة جميلة لكهف بجبل ثلجى . ويمكن رؤية السفينة «تيرا نوفا» عن بعد .



المستودع فى منتصف الطريق الى ثلاجة بيردمور. وقد اطلق على الجبل بمؤخر
الصورة اسم كلودميكر ويبلغ ارتفاعه ١٩٧١ قدم .

وهذا امر له اهمية فائقة — بما اكتسبوه من خبرة فى تدبير المعدات والمؤن
وتوزيع الاطعمة مما ساعد كثيرا على ترتيب اعمال البعثة عندما تم الاتفاق
نهائيا على جميع الخطط . وبدأت الرحلة القطبية الطويلة فساعدت هذه
الخبرة على تحقيق كل ما كان فى قدرة الانسان من استعداد لمواجهة ما
ظنوه وقتئذ اسوأ الاحتمالات والظروف .

وفى يوم اول نوفمبر سنة ١٩١١ بدأت الرحلة المحفوفة بالاخطار
وكانت الفرقة مكونة من الكابتن ر . ف . سكوت من رجال البحرية الملكية
والكابتن اوتس من حرس انسكيلينج دراجون السادس والضابط ايفانز
والملازم باورز والدكتور ويلسون والمستر تشيرى — جرارد والمستر رايت
والضابط كرين والمستر اتكنسون الجراح والمستر لاشلى والمستر كيوهان
المكلفين بالعناية بامر الكلاب والزلاقات الثلجية ومعهم بعض المساعدين.

وقد ارسلت الزلاقتان الثلجيتان الباقيتان فى المقدمة قبل الاحصنة والكلاب وذلك للعمل على اقامة المستودعات ورسم الطريق . وقد قدرت البعثة لنفسها مسافة ١٣ ميلا تقطعها فى اليوم الواحد . ولكن لم تلبث الصعوبات والمتاعب تواجههم وتظهر عليهم تدريجيا علامات الضعف والانحلال . ولكنهم مع ذلك ظلوا يقاومون الزوابع والعواصف الثلجية ويدفعون طريقهم من يوم لآخر حتى وجدوا انفسهم فى يوم ٢٤ ديسمبر مضطرين الى اطلاق الرصاص على احد الاحصنة الذى اصبح من الضعف بحيث لا يستطيع مواصلة الرحلة .

ولم تكن تلك خسارتهم الوحيدة فى ذلك اليوم فقد اضطروا الى التخلى عن الزلاقات الثلجية التى كانت البعثة تعتمد عليها الى حد كبير وذلك بسبب تعطيل وفشل هذه الزلاقات التى تسير بالموتور. وأمر جميع سائقيها بالعودة الى القاعدة فيما عدا اثنين منهم .

واستمر باقى اعضاء البعثة فى رحلتهم، وكانت الثلوج قد تراكمت وانهالت فغاصت الاحصنة فى الثلوج حتى افخاذها واصبح التقدم بطيئا صعبا . واضطر رجال البعثة الى اطلاق الرصاص على حصان آخر بعد ان قتل الاول باربعة ايام واصبح من الواضح بعد ذلك انه لن تمر بضعة ايام على الآخرين حتى يصيبهم ما لحق بغيرهم اذ اخذت كمية العليق تقل وتدهورت صحة الاحصنة . ومما زاد فى سوء الحال ان عاصفة ثلجية واجهتهم فى يوم ٣ ديسمبر فعطلت سيرهم . ورغم هذه الصعاب والت البعثة تقدمها على امل تحسين الجو حتى كان اليوم الخامس فضاعفت شدة العاصفة



الكابتن سكوت فى زى السير على الثلوج .

واضطروا الى ان يضربوا خيمهم لمدة اربعة ايام حتى بدأت العاصفة تفقد حدتها .

وبذلك فقدت البعثة اربعة ايام ضاعت عليها سدى وضاع معها مقدار قيم من الطعام والمؤن وترتب على هذه المحنة الشاقة انهم لم يروا بدا من اطلاق الرصاص على الاحصنة السبعة الباقية وكان اثر هذه الحادثة قاسيا عليهم الى حد ان اطلقوا على المكان اسم «ثغرة المجزر» واصبحوا بعد ذلك متكلين على كلابهم وزلاقاتهم الثلاث التى يجرها افراد البعثة وكان سكوت يجر الزلاقة الاولى ومعه ويلسون واوتس والضابط ايفانز اما الثانية فكان يجرها ادوارد ايفانز واتكنسون ورايت ولاشلى والثالثة كان يجرها باورز وتشيرى — جرارد وكرين وكيوهان . وفى اليوم التالى اضطر رجلان هما ميرز وديمترى ان يعودا الى القاعدة بالكلاب لانها بدأت تفقد قوتها ومراسها وبدأت تؤثر عليها الاحوال السيئة كل السوء . وبذلك لم يبق هناك من وسيلة للنقل الا الزلاقات التى يجرها الانسان .

وبذلك ذهب صوت تدليل الكلاب وحديث السائق لحصانه وصدى اقدام الاحصنة على الارض الجليدية الصلبة وحفيف الزلاقات التابعة لها . واندفع رجال الزلاقات الثلاث حتى وصلوا مستودع «اعالى الثلوج» يوم ٢١ ديسمبر . ومنه عاد رايت وتشيرى — جرارد واتكنسون وكيوهان الى القاعدة عبر نهر جليدى ووجد الباقون رحلتهم صعبة قاسية بعد الزوابع الحديثة لان الارض بدأت ترتفع تدريجيا وتقل كثافة الجو كلما تقدموا جنوبا . ومع ذلك استمر الرجال فى تقدمهم يكافحون هذه الصعاب، وبعد اربعة ايام حدث ان سقط لاشلى فى هوة . وما زالت مصاعب الرحلة تزداد الى حد انهم وجدوا فى بعض المواضع انه من المستحيل ان يتقدموا حتى على الزلاقات، وفى يوم ٤ يناير سنة ١٩١٢ كلف ايفانز ولاشى وجرين بالعودة الى القاعدة .

وكان صدى اقدام الرجال الخمسة الباقين وخطواتهم فى الجليد يعكر الصمت المحيط بهم وهم يدفعون طريقهم بعزم وعناية الى القطب



الكابين اوتس الرجل الشهم الذى ضحى بنفسه متعمدا لانقاذ حياة زملائه .

بعض رجال البعثة — وهم من اليمين الى اليسار : كرين، الضابط ايفانز، جران، ديبنهام، الكابتن سكوت، باورز، الليفتينانت ايفانز، رايت، وتايلر .



قمة اريبس وقبة كلود مع ثلاجة ترى بمقدمة الصورة التى توضح جمال وبهاء الثلوج

الجنوبى . ولم يلبث الضابط ايفانز ان اصيب بتجمد يديه كما اصبح الجهد والتعب ظاهرين على كل رجل . وكانوا جميعا يقاومون جوا عابسا وريحا قاسية وهم يسيرون على ثلوج متخاذلة وفجوات عميقة وجليد غير ثابت ولا مستقر .

وبدأ مقياس الحرارة فى الهبوط واثبت سكوت انه وصل فى ١٤ يناير الى ٢٥ درجة تحت الصفر على ارتفاع ١٠,٠٠٠ قدم وبدأت علامات التأثر بقسوة البرد تظهر على اوتس . ولكن هولاء المخاطرين البواسل ظلوا يشقون طريقهم فى هذه الصحراء البيضاء الغامضة الصامتة حتى وقعت عينا باورز الحادتان فى يوم الثلاثاء ١٦ يناير على نقطة سوداء لا يمكن ان تكون قطعة من الجليد . فتابعوا طريقهم اليها حتى تبين لهم انها علم اسود ربط الى زلاقة الى جانب آثار معسكر . وكانت آثار الزلاقات والكلاب على الجليد ظاهرة واضحة وبذلك ثبت ان آمندسن كان قد وصل الى القطب قبلهم فكانت صدمة عظيمة صدمة الفشل والخيبة .

وفى خيمة آمندسن عثرت البعثة على وثيقة تبين منها ان خمسة من النرويجيين هم روالد آمندسن واولاف اولافسن بزالاند وهيلمز هانسن وسفير ه . هاسيل واوسكار وستينج قد وصلوا الى القطب الجنوبى فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩١١ اى قبل وصول بعثة سكوت بشهر واحد .

وعند تحديد مكانهم لاحظ سكوت ان العلامات التى اقامها آمندسن لتحديد مكان القطب الجنوبى تبعد ثلاثة اميال ونصف ميل عن الموقع الذى حدده هو واثبت ان القطب يرتفع نحو ٩,٥٠٠ قدم عن سطح البحر . ولم تلبث البعثة بمجرد وصولها ان بدأت رحلتها الطويلة المتعبة المليئة بالمفاجآت الى قاعدتها الاصلية . وبدأت الاقدار تداعب هولاء الرجال الخمسة الذين كانت قوة احتمالهم الجسمية لا تقاس بقوة ارادتهم التى لا تقاوم وعزمهم وشجاعتهم . فكانت الاقدار تلعب بهم لعب القط بالفأر

ظر آخر لقمة اريبس البركان الثائر بجزيرة روس . ويرى بمقدمة الصورة جبل ثلجى
كن الحكم على حجمه بمقارنته بالرجل الواقف عليه .



فلما كان يوم ٢١ يناير فاجأتهم عاصفة ثلجية شديدة اضطرتهم الى الانتظار بضع ساعات حتى بدأت تهدأ . واشتد البرد بعدها وسقطت درجة الحرارة الى ٣٠ تحت الصفر ووجد ايفانز الذى كانت يداه ما زالتا متجمدتين ان انفه ايضا قد اصبح فى مثل تلك الحالة المؤلمة وبدأت حالته الصحية تسوء كما قلت الاطعمة ونقص الوقود الى حد كبير . واستمرت حالتهم على هذا المنوال حتى صادفتهم بعد اربعة ايام زوبعة ثلجية اخرى . ومع ذلك فقد ظلوا يقاومون حتى وصلوا الى المخزن الذى يقع فى منتصف الطريق وتركوه ومعهم من المؤونة ما يكفيهم تسعة ايام ونصف يوم .

وبدأت حالتهم الصحية تسوء وساءت حالة اصابع ايفانز وانفه، واثرت الثلوج على قوة ابصار ويلسون، كما ان اوتس كان يشكو فقد

الكابتن سكوت يدون مذكراته .



الاحساس باحدى قدميه وذلك بتأثير البرد القارس ولكنهم مع ذلك ظلوا يكافحون ببطولة . وكانوا يتفقدون احيانا آثار رحلتهم فى الذهاب التى كانت الرياح اللداد قد عصفت ببعضها، واحيانا يقطعون الاميال بغير جدوى دائرين حول الفجوات السحيقة التى تكونت حديثا . واصبح نصيب كل واحد منهم من الاطعمة على قلة لا تكفى لان تزودهم بالقوة اللازمة لمكافحة هذه الصعاب بل لاتكاد تفى بالقدر الضرورى لتغذيتهم . واصبحت قدرتهم على المسير تتطلب مجهودا عظيما . وفى يوم ٢٨ يناير لما بقى عليهم ان يقطعوا نحو ٤٣ ميلا للوصول الى المحطة التالية لم يجدوا معهم من الطعام الا ما يكفيهم لستة ايام .

وحل بهم سوء الطالع فى ٣٠ يناير اذ اشتكى ويلسون فى هذا اليوم تصلبا فى ساقه مما نشأ عنه بطبيعة الحال ابطاء الجميع فى سيرهم . وفقد ايفانز طرفى اصبعين فاصبحت يداه فى حالة مريعة وسقط سكوت نفسه فى هوة فتصلب كتفه .

وبذلك هبط معدل السير . ومما زاد الامر تعقيدا ان ايفانز سقط فى يوم ٤ فبراير وكان سقوطه بشدة ترتب عليها اضطراب حواسه واصيب بالارتجاج فساءت حالته تدريجيا وبدأت جروحه والقطوع التى فى جسمه تتقيح وظهرت عليه علامات الضعف والوهن الشديدين . قد كانوا يكافحون لمدة سبعة اسابيع متوالية ريحا عاصفة لا تنقطع شدتها وبردا قارسا مما كان يكفى لاضعاف اى انسان يعوزه الغذاء الكافى . وفى ١٧ فبراير قضى الضابط ايفانز وودع الحياة بعد ما كانت قدرته على المقاومة قد بدأت تضعف قبل الوصول الى القطب . واصبح من الواضح ان حالته قد ساءت بسبب الصدمة التى لحقت به من تجمد اطرافه ثم السقوط بين كتل الجليد . ولا شك انه كان قد اصيب فى مخه عندما سقط فى ٤ فبراير اذ ان قواه الفكرية تبلدت بعد ذلك الى حد عدم الحساسية تقريبا .

ثم تناقصت قدرتهم على قطع المسافة وقل الوقود ولم يعد فى استطاعتهم فى يوم ٢٤ فبراير ان يقطعوا اكثر من اربعة اميال . وسقطت درجة

الحرارة الى ٤٠ تحت الصفر ومع ذلك تابعوا رحلتهم باصرار حتى اصابهم القدر فى يوم ٢ مارس بثلاث ضربات قاسية اذ وجدوا انه لم يبق لديهم زيت كاف لقطع مسافة ٧١ ميلا حتى يصلوا الى المحطة التالية . والزيت مادة حيوية لا بد منها لطبخ طعامهم القليل وتدفئة خيمتهم . وحدث ان تجمدت اقدام اوتس فتسبب له عن ذلك الم لا يطاق . كما ان الريح التى رحبوا بها فى البداية قد انقلبت الى جو معتم ترتب عنه هبوط درجة الحرارة اثناء الليل الى ٤٠ درجة تحت الصفر .

وساءت حالة اوتس الصحية تدريجيا . وفى ١٠ مارس بدأ يتضح ان الامل فى حياته قد صار ضعيفا . وبعد اربعة ايام اخرى استيقظ اعضاء البعثة على عاصفة ثلجية حادة وادرك اوتس انه لا يمكن ان يعيش وان نصيب كل رجل من الاطعمة قد اصبح ضئيلا فقال لزملائه «انى ساخرج قليلا وربما قضيت بعض الوقت فى الخارج» ولم يعد مطلقا . كذلك خرج الى العاصفة الثلجية الثائرة رجل شجاع لملاقاة حتفه مضحيا بحياته على امل انقاذ حياة زملائه .

ولم تعد نهاية هذه المخاطرة بعيدة على الثلاثة الباقين اذ انه فى يوم ١٩ مارس وهم على بعد ١١ ميلا فقط من المحطة اضطرتهم زوبعة ثلجية الى الانتظار وتعلق هؤلاء الرجال باهداب الحياة بتشبث واصرار . وفى يوم ٢٩ مارس وهو آخر يوم فى مذكرات سكوت تحدث سكوت عن هذه الزوبعة التى كانت قائمة باستمرار من يوم ٢١ مارس واضطرتهم الى الانتظار فى خيمتهم وهم على استعداد لان يستأنفوا رحلتهم فى اية لحظة . وكانت الخيمة تهتز تحت شدة الزوبعة الثائرة ونفد طعامهم واضمحلت قواهم . وتبين الصفحة الاخيرة من مذكرات سكوت ايمانه وتواضعه واستسلامه لارادة الله وهى حالة قد ظهرت آثارها عليه وعلى زملائه طوال محنتهم المريعة . وتظهر الجملة القصيرة الاخيرة التى ختم بها مذكراته اخلاقه على أتمها وفيها يقول «انه شئ يؤسف له ولكنى اظن انى لن استطيع الكتابة بعد الآن» .



ورة تـاريخيـة . والافراد من اليمين الى اليسار هم : الضـابـط ايفـانز، دكتـور ولسـون، الـكابتن سكـوت، الليفتينـانت باورز والـكابتن اوتس قطب الجنوبى .

وبعد ثمانية اشهر اكتشفت جثهم . ومع ان الكارثة كانت تواجههم باستمرار فانهم فى سبيل خدمة العلم والجيولوجيا احتفظوا باحمالهم الثقيلة من العينات الجيولوجية . ولم يعثر على جثة اوتس . وقد تبين من دراسة قصة هذه البعثة ان فقد الاحصنة بفعل تيار الجليد فى مارس سنة ١٩١١ قد اضطرهم الى تأخير رحلتهم الى القطب عن الميعاد الذى حدد اولا والى تحديد مقدار ما حملوه من اثقال . كما انه قد تسبب عن حالة الجو اثناء ذهابهم وعلى الاخص الزوابع الثلجية ان تعطل معدل تقدمهم فى السير . كما ان الثلوج الهشة التى كانت تصادفهم عبر كتل الجليد قد نقصت من سرعتهم . واثر ذلك كله الى حد كبير على معداتهم ومؤونتهم وما اختزنوه من وقود .

وكانت درجة الحرارة من العوامل المضادة اذ انهم واجهوا عند قمة

القطب بردا بلغ بين ٢٠ و ٣٠ درجة تحت الصفر . وفى عودتهم هبطت درجة الحرارة ايضا حتى كانت على الدوام بين ٣٠ و ٤٧ درجة تحت الصفر . وكان يصحب ذلك كله رياح عاصفة مواجهة لهم طوال سيرهم . وهكذا قضت تلك العقبات التى لم تكن فى حساب احد على قيمة التفصيلات الدقيقة والتفكير السليم والعناية الكاملة فى تقدير البعثة لحاجاتها الغذائية وكساء افرادها ومقدار ما اختزنوه من مؤن .

وهكذا يرقد الآن فى قبر من الجليد وفى وسط الصحراء البيضاء التى لا نهاية لها وفى راحة وهدوء لا يزعجها شئ بقايا خمسة من اشجع وانبل رجال العالم . . .

الراحة الأبدية تحت الثلوج الخالدة . قبر الكابتن سكوت والدكتور ولسون والليفتينانت باورز .



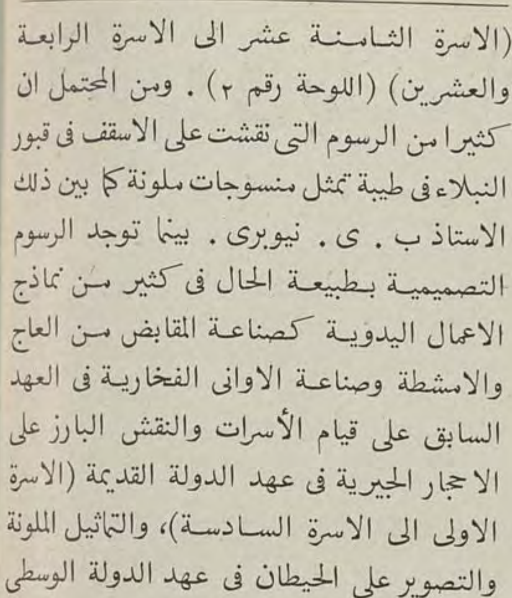
الأطرزة في صناعة النسيج المصرية

«تكشف لنا مصر عن احد المصادر وربما هو المصدر الاصلى الذى انفجر منه نهر الجمال وفاض باستمرار على العالم» .

ج . كابارت . فى كتاب « تراث مصر » (اكسفورد سنة ١٩٤٢) صحيفة ١١٩ .

بينما تستحق التحف العظيمة من العمارة والنحت التى انضمت فى ثروة الانسان خلال القرون المتعاقبة ان تعتبر اهم واعظم ما اسدت مصر الى تاريخ الفن فان الرسامين ورجال الحرف من المصريين قد تركوا بدورهم اثرا لا يقل اهمية فى تقدم ما يعرف «بالحرف الصغيرة» التى من بينها قيام صناعة النسيج . وهى ذات اهمية عظمى ونفع كبير لحياة الانسان وسعادته، لان نتاج هذه الصناعة ليس مما يسر العين الناظرة فقط ولكنه يحقق راحة الجسم كله ايضا .وقد اعتزمنا فى هذا المقال وما يتلوه ان نستعرض باختصار بعض اعمال تصميم المنسوجات ورسمها فى مصر ومن بينها دراسة اعمال بعض الفنانين المصريين من الشبان الذين يدرسون الآن فى انجلترا .

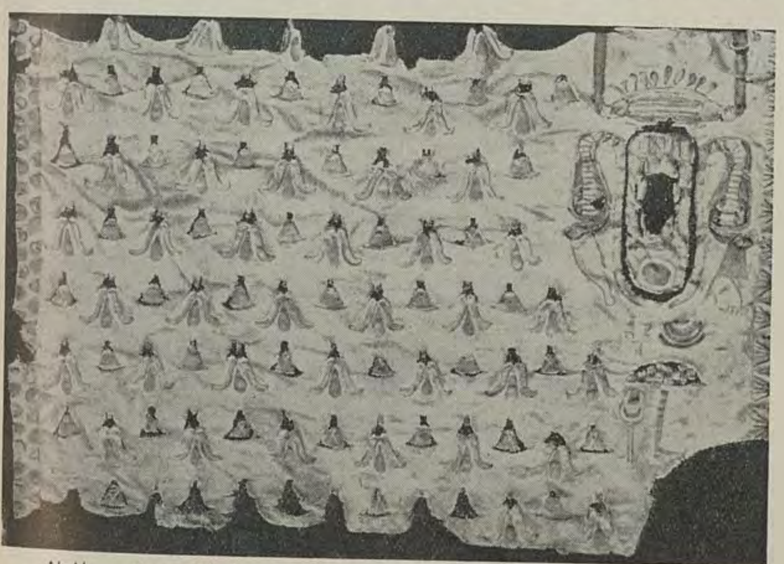
ومع انه من المعروف من زمن بعيد ان قدماء المصريين قد تفوقوا فى نسج الاقمشة وتصميم رسومها الا انه لم تكتشف نماذج من اعمالهم فى هذه الناحية الا فى خلال الخمسين عاما الاخيرة . وتبين صورة مصنع النساج المأخوذة من قبر «مكترع» فى الدير البحرى (اللوحة رقم ١) منسجا بسيطا تنسج عليه ملابس قطنية . وقد حفظت منها عينات كثيرة وهى من التيل الابيض البسيط . ولكن حتى تاريخ اكتشاف «الكورسيه» الملون المنسوج الذى عثر عليه فى قبر امنحوتب الثانى لم نكن قد عثرنا بعد على نماذج لمنسوجات مرسومة ملونة ترجع الى تاريخ الدولة الحديثة





اللوحة ١ . مصنع الغزالين النموذجي—من قبر مكتشف بالدير البحرى .

(الاسرة الثامنة عشر الى الاسرة الرابعة والعشرين) (اللوحة رقم ٢) . ومن المحتمل ان كثيرا من الرسوم التى نقشت على الاسقف فى قبور النبلاء فى طيبة تمثل منسوجات ملونة كما بين ذلك الاستاذ ب . ى . نيوبرى . بينما توجد الرسوم التصميمية بطبيعة الحال فى كثير من نماذج الاعمال اليدوية كصناعة المقابض من العاج والامشطة وصناعة الاوانى الفخارية فى العهد السابق على قيام الأسرات والنقش البارز على الاحجار الجيرية فى عهد الدولة القديمة (الاسرة الاولى الى الاسرة السادسة)، والتماثيل الملونة والتصوير على الحيطان فى عهد الدولة الوسطى (الاسرة الحادية عشر الى الاسرة الثالثة عشر) وتعطينا الالواح المرسومة على حوائط قصر رمسيس الثالث نماذجا للملابس المرسومة الملونة (اللوحة رقم ٣).



اللوحة ٢ . قطعة من قماش مغزول لرباط الوسط لامنحوتب الثانى .



اللوحة ٣ . الحائط من الصينى الملون بقصر رمسيس الثالث. (متحف القاهرة.)



اللوحة ٤ . نماذج حيوانات من الطين . (ستوديو ليمتد والصورة لديل وونرايت .)

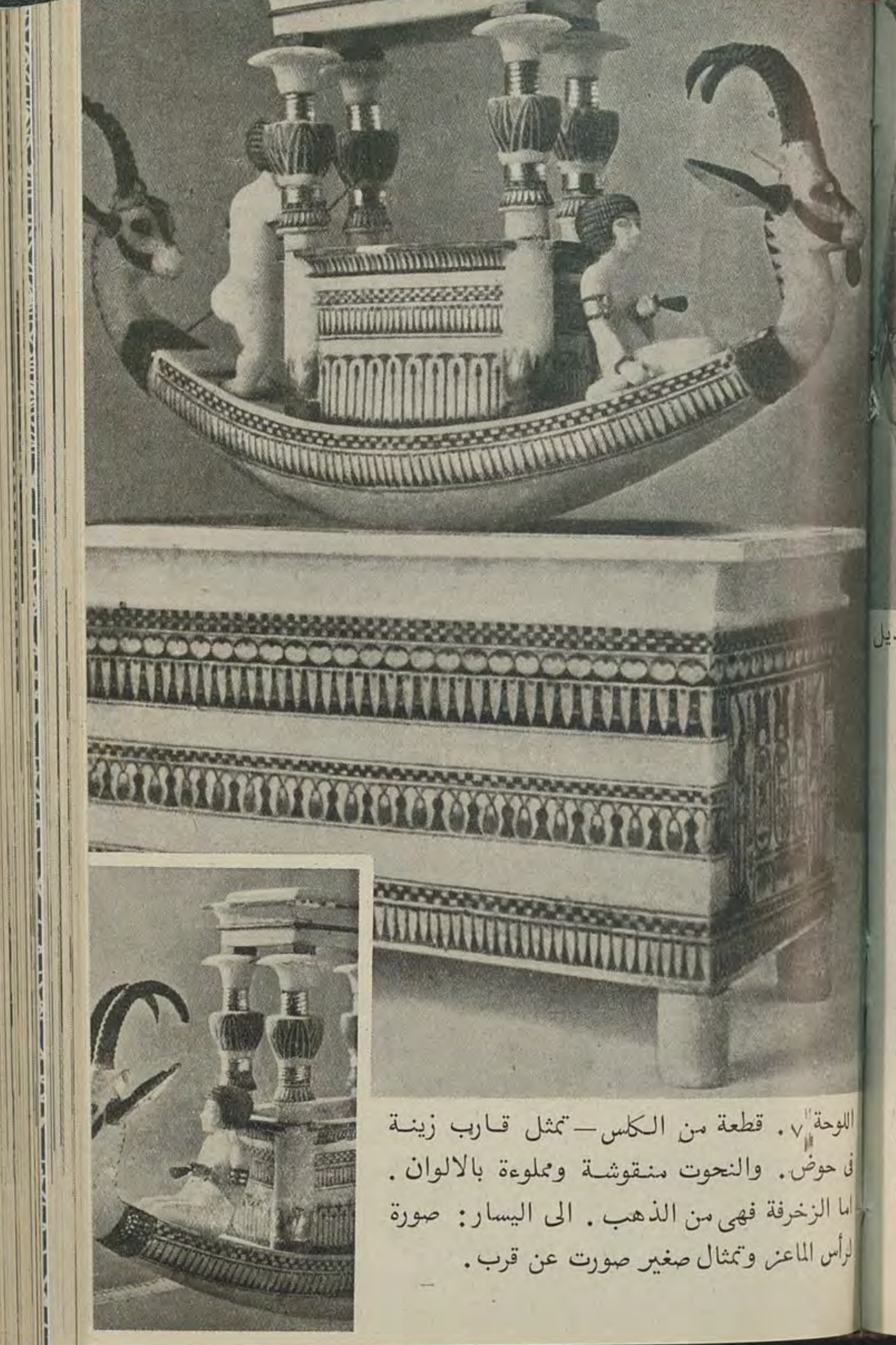




اللوحة ٥ (الى اليمين). رأس صولجان يمثل الملك العقرب. (ستوديو ليمتد والصورة لديل ووينرايت.)

اللوحة ٦ (الى اليسار) . اوانى فخارية ترجع الى عهد ما قبل الاسرات .

ويجب فى دراسة تطورات صناعة رسم النسيج فى مصر القديمة ان تذكر مختلف المواد التى استعملت فيها الرسومات الملونة اذ ان هذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن الحصول بها على صورة كاملة . ونماذج الاقمشة المصرية من العهد اليونانى الرومانى والقبطى كثيرة موجودة فى كل المتاحف الكبيرة . والواقع ان هذا الفن قد وصل الى درجة الكمال من الرقى فى القرون الستة من اول العهد المسيحى . واستمرت صناعة النسيج منذ الفتح الاسلامى فى تقدمها، ونحن نراها الآن فى طريقها تحاول ادراك درجة اعلى . وقد استأثرت بعض الاطرزة خلال تاريخ الفن المصرى باهتمام الاجيال بعد الاجيال من الرسامين والمصممين. وسنختار من بين هذه الاطرزة الاربعة الاكثر انتشارا وذلك لنبين قوة التقاليد فى صناعة رسم



اللوحة ٧. قطعة من الكلس — تمثل قارب زينة فى حوض. والنحوت منقوشة ومملوءة بالالوان. اما الزخرفة فهى من الذهب. الى اليسار: صورة لرأس الماعز وتمثال صغير صورت عن قرب.





اللوحة ٨ (الركن الاعلى الى اليسار) . تصميم للآنسة عطية عويس .

اللوحة ٩ (الركن الاعلى الى اليمين). تصميم للآنسة فتحية خليفة .



اللوحة ١٠ . قطعة من زجاج ازرق مزين يرجع تاريخها الى الق ن الرابع عشر. (متحف القاهرة.)



اللوحة ١١ . حلى لصدر امنمحت الثالث. (متحف القاهرة .)

اللوحة ١٢ . جزء من تمثال مصنوع من حجر الكلس الملون لرع هلب يبين رسوم طيور.



اللوحة ١٣ . تفاصيل وجزئيات النقوش الابنوسية والذهبية على كرسى الملكة حتب هرس الذى وجد بقبرها . والحروف الهيروغلوفية هى من ذهب خالص مطعم على ابنوس .



الاقمشة وتصميمها . ونحن فى كلامنا عن التقاليد فى صناعة رسم الاقمشة لا نعنى مطلقا ان المتأخرين من الرسامين والفنانين قد اسرفوا فى تقليد رسوم سابقيهم اكثر مما نعنى ان الفنان المصرى يبدى احساسا غريزيا بالنسبة لهذه الاطرزة . وهذا الاحساس مستمد من العوامل المحيطة به وهو لذلك يتأثر بها تأثرا يبعده عن الاطرزة الاخرى التى يحتمل ان يفضلها . وهذا العامل دائم التأثير حتى الآن وهو ملحوظ فى بقاء المصممين المصريين اوفياء لشخصية بلادهم العبقرية عندما يحاولون ان يجمعوا بين الأطرزة التقليدة وبين الاتجاهات الحديثة فى الفن الاوروبى . وقد تم من ذلك حتى الآن ما يعزز الثقة فى المستقبل الى حد كبير ويمكننا ان ننتظر بوثوق ثروة اضافية من جهة الفن الغربى مستمدة من دراسة المصممين الاوروبيين للموضوعات المصرية .

. . . .

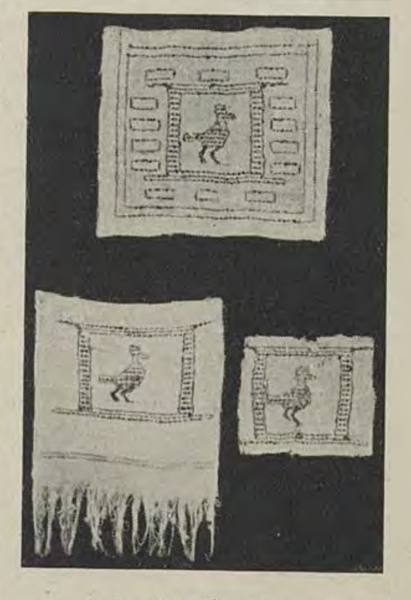
ولنبدأ اولا بالمعاملة الفنية للحيوانات ذات القرون وعلى الاخص الوعل والغزال . وقد احتذى الفنانون المصريون منذ اكثر من خمسة آلاف عام صناعة نماذج من الطين تمثل هذه الحيوانات (اللوحة رقم ٤) وهى ممتازة برشاقتها وحيويتها . وتبين لوحة ملونة من العهد السابق على الاسرات وجدت فى هيرا كونوبوليس مجموعة من الاوعال فى اوضاع مختلفة (اللوحة رقم ٥) . ويوجد مثل بسيط لهذه المعاملة على نماذج من الفخار فى العهد نفسه (اللوحة رقم ٦) . وكان هذا الموضوع شائعا خلال الاسر المتعاقبة وقد بلغت معاملته حد الكمال فى عهد توت عنخ امون (اللوحة رقم ٧) كما ان معاملته فى العصر الاسلامى ظاهرة من قطعة من اناء زرقاء ترجع الى القرن السابع وهى محفوظة الآن بدار الآثار العربية بالقاهرة (اللوحة رقم ١٠) . ولتكملة هذه الحلقة التى يسهل توسعتها باضافة امثلة اخرى عديدة اليها، قد يكون من المفيد ان ندرس نموذجين حديثين للحيوانات ذات القرون ادمجت فى رسومات الاقمشة . فاللوحة التاسعة تعرض رسما اعدته الآنسة فتحية خليفة التى حضرت

لتكملة دراساتها بانجلترا فى عام ١٩٣٧ . ومن المفيد بصفة خاصة مقارنة هذا الرسم بالرسم المعروض فى اللوحة العاشرة التى تبين مجموعة مشابهة من الحيوانات والزهور مجتمعة . ويظهر عنصر التجديد فى رسوم الآنسة فتحية خليفة فى الشكل غير المألوف للاطار المرسوم حول الغزال . وتبين اللوحة الثامنة معاملة اخرى مفيدة للوعل وهو يرى هنا مع صور النخيل . وهذا التصميم من عمل الآنسة عطية عويس التى تدرس فى انجلترا من سنة ١٩٣٧ ايضا .

اما الموضوع الثانى فنتخذه من معاملة الطيور . واغلب استعمالها كان بلا شك فى الكتابات الهيروغلوفية القديمة وهى « الطيور الصغيرة السحرية » التى كتب عنها الشاعر الانجليزى جون درينكووتر اثناء زيارته لمصر . وقد وصلت هذه الرسوم حد الكمال فى عهد الدولة القديمة (اللوحة رقم ١٢) ولا شك ان رشاقة هذه الحروف الصغيرة واناقتها تعد فى نوعها وحيدة فى تاريخ الفن (اللوحة رقم ١٣) ومن الامثلة الشائعة لرسوم الطيور صورة الطير المنشور الجناح (اللوحة رقم ١١) وقد حوت آثار توت







اللوحة ١٤ (فى الاعلى) حلى للصدر مرصع بالاحجار الكريمة والزجاج الملون. اللوحة ١٥ (فى الوسط). منظر مأدبة من قبر فى طيبة . اللوحة ١٦ (تحت) . منسوجات قبطية من اخميم .

عنخ اسون نماذج جميلة من هذا النوع (اللوحة رقم ١٤) وتوجد نماذج عديدة للطيور المصرية فى «منظر الطيور» باحد قبور طيبة وهى محفوظة الآن فى المتحف البريطانى (اللوحة رقم ١٥) وتوجد امثلة كثيرة فجة ومتكلفة لطراز الطيور فى بعض المنسوجات القبطية التى نشأت فى اخميم (اللوحة رقم ١٦) بينما تظهر قطعة من الرخام وجدت فى قبة الملك المظفر بيبرس طريقة اخرى لعاملة هذا الطراز الجميل (اللوحة رقم ١٧). وهذه الامثلة التى انتخبت حيثما اتفق تكفى للدلالة على قدم واستمرار التقاليد التى تقوم وراء رسوم الآنسة فتحية خليفة الدقيقة للطيور المحاطة باطار الزهور. (اللوحة رقم ١٨.)

وفى مقال آخر تال سنعرض بعض نماذج لمعاملة الازهار والاشجار فى الفن المصرى عامة مع اشارة خاصة الى معاملتها فى رسوم النسيج.

(يتبع)



اللوحة ١٧ (فى الاعلى). حجر من الرخام وجد بمقبر السلطان بيبرس الثانى الذى يحل محل قصر الوزير الفاطمى.



اللوحة ١٨ (الى اليمين). تصميم آخر من تصميات الآنسة فتحية خليفة.

كبار المستشرقين من البريطانيين

ميكائيل سكوت

المستمعون الذين تتبعوا سلسلة الأحاديث التى ألقاها فى سنة ١٩٤٠ الدكتور برنارد لويس عن جهود البريطانيين فى الدراسات العربية، أو اولئك الذين اطلعوا على هذه المحاضرات حين طبعها المجلس البريطانى للثقافة فى كتيب خاص بمثل هذا الاسم، يذكرون التاريخ العام للدراسات العربية فى بريطانيا من القرن الثانى عشر حتى يومنا هذا . ولما كانت أحاديث الدكتور برنارد لويس قد أثارت اهتماما كبيرا فقد رجح لدينا أن نقوم بسلسلة جديدة من المقالات هى وإن شملت نفس موضوع البحث إلى حد ما فانها تفتح ميادين جديدة فى هذه الدراسة .

وفى سلسلتنا هذه نعتزم أن نقدم فكرة عامة عن سير عدة من المستشرقين البريطانيين يصح اتخاذهم مثالا للكثيرين من زملائهم وان نبين ما لهؤلاء من أياد على الدراسات العربية ونوضح فى استعراضنا لحياتهم وأعمالهم ذلك الاهتمام التى نالته اللغة العربية والثقافة العربية فى بريطانيا خلال زمن يتجاوز ثمانية قرون .

ولنجعل موضوع حديثنا الأول هذا رجلا هو من أقدم من درسوا العربية من البريطانيين كما أنه من أعظمهم قدرا، وهو وإن نسج الزمن المتطاول ستر الابهام والغموض على كثير من تفاصيل حياته وأحاطه بضروب من الأساطير فانه برغم ذلك كله يسطع نجمه من خلال تلك الغيوم شاهدا على أنه كان من عباقرة أيامه كما أن عمله قد عرف قدر منه يكفى للبرهنة على أنه كان مستشرقا يكفل له علمه أن يتبوأ مكانا فى الاستشراق البريطانى الرفيع المنزلة .

ذلكم هو ميكائيل سكوت، ولد قبيل سنة ١١٨٠ وربما كان ميلاده

عام ١١٧٥ أى فى نفس السنة التى اعترف فيها الخليفة المستضىء بصلاح الدين الأيوبى سلطانا على شمالى افريقية ومصر و سورية . وسكوت كما يدل اسمه من أبناء اسكتلندا، والقبيلية الاسكتلندية الكبيرة التى حملت هذا الاسم ادعت أنه أحد أفرادها البارزين، وإن صح هذا الادعاء استطعنا أن نرجح أن ميكائيل قد رأت عيناه ضياء الحياة للمرة الأولى فى مقاطعة فايف فى قرية بالويرس قرب كركلدى فى تلك البقعة التى شمخ فيها زمانا الحصن الشاهق الذى امتلكته قبيلة سكوت .

درس ميكائيل فى اكسفورد ثم فى باريس وفى جامعة باريس حاز لقب (الرياضى) ومن باريس انتقل الى بولونيا ثم إلى بالرمو . وكانت صقلية فى ذلك الحين تحت حكم الامبراطور فردريك الثانى وكانت لا تزال القصبة المزدهرة للثقافة العربية والدراسات العربية . وما من شك أنه هنا قام المتعلم الاسكتلندى الشاب بأوسع خطاه فى دراسة اللغة العربية وسرعان ما نجده فى خدمة الدون فيليب الكاتب المسجل للامبراطور فردريك .

ثم إن ميكائيل ارتحل من بالرمو إلى طليطلة قصبة ملوك كاستيلية وكانت مدينة طليطلة قد خرجت عن نطاق العالم الاسلامى قبل ذلك بقرن من الزمان أو اكثر وبرغم ذلك فانها كانت لا تزال محتفظة بالكثير من عاداتها العربية القديمة وما انتصف القرن الثانى عشر حتى صارت مركزا لمدرسة الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وكان المستشرق الانجليزى أديلارد المولود فى مدينة باث قد زار اسبانيا فى اوائل هذا القرن وترجم الزيج الفلكى الذى وضعه المجريطى كما أن انجليزيا آخر اسمه روبرت اوف تشستر كان قد زار طليطلة فى حوالى سنة ١١٤٥ وعمل الترجمة اللاتينية الأولى لما كتبه الخوارزمى فى علم الجبر . وهكذا وجد ميكائيل أن مواطنيه قد شقوا له نهجا نيرا فى الدراسة العربية عليه أن يحذو فيه حذوهم ففى خلال إقامته فى طليطلة انكب على أول مؤلف هام له وانتهى منه فى سنة ١٢١٠ وهو (خلاصة لفلسفة ابن سينا) .

عاد ميكائيل سكوت من طليطلة إلى بالرمو فجعله فردريك منجم بلاطه . وكان فن التنجيم فى ذلك الزمان فنا رفيع القدر قام طلبته المبرزون بدور هام فى الحياة السياسية ذلك أن المنجم كان بتقديره وحسابه يعين الوقت السعيد الطالع الذى يحسن فيه البدء بعمل جليل أضف إلى ذلك أن ما يكسبه فنه من علم بالمستقبل مزعوم كان يجد سوقا نافقة بطبيعة الحال . ونحن اليوم قد نبتسم هازئين بهذا الذى نعده خرافة سخيفة آمن بها أهل الزمان الخالى فى بساطة وجهل، ولكننا يجدر بنا أن نتذكر أنه من علم التنجيم الكاذب نشأ علم الفلك الحق وأن المنجمين فى القرون الوسطى قد بذلوا كثيرا مما سبب اتساع آفاق المعرفة الانسانية .

ونحن لا نعرف إلا النزر اليسير عن رحلات ميكائيل سكوت فى باقى حياته . والفيلسوف العالم الانجليزى الشهير (روجر بيكن) اعجوبة زمانه شهد بمبلغ علم ميكائيل فى العربية وقال إنه جاء إلى اكسفورد فى سنة ١٢٣٠ جالبا معه مؤلفات ارسطو عن التاريخ الطبيعى والرياضيات مقرونة بشروح حكيمة حتى عظم شأن الفلسفة الأرسطية بين المتكلمين باللاتينية . ومن المحتمل أن هذه الزيارة التى قام بها ميكائيل إلى جامعته القديمة كانت قسما من سفارة أرسله فيها سيده الامبراطور بغرض إيقاف جامعات أوربا على كتب أرسطو باللاتينية التى قام هو وغيره من العلماء بترجمتها من العربية فى بالرمو .

وفى حوالى سنة ١٢٣٥ توفى سكوت ولا يستطيع أحد أن يجزم أين وكيف مات وإن كان هناك روايتان مختلفتان تعارض إحداهما الأخرى . أما الخرافة الاسكتلندية فتقول إن سكوت عاد إلى وطنه الذى فيه ولد بعد ترحله الطويل فى آفاق الأرض وهناك لقى حتفه إثر إقدامه الطائش على الأكل من خنزيرة ذبحت وهى لما تزل فى حرارتها ؛ وأما الرواية الايطالية فتعطى الوصف التالى للكيفية التى لاقى فيها مصرعه . توقع سكوت من معرفته بخفايا الغيوب أنه سيقتله حجر يسقط على رأسه ودفعه هذا إلى أن يبتكر خوذة خاصة تستطيع أن تصمد لضربة قذيفة ثقلها

اوقيتان ولبس هذه الخوذة على رأسه فى كل الأوقات، ولكن حكمته وبعد نظره ما كانا ليقياه من صروف الأقدار ففى يوم كان هو من المصلين فى كنيسة ايطالية وكان من تقاليد تلك الصلاة أن يرفع غطاء رأسه احتراما وإجلالا حين تحين اللحظة التى يرفع فيها خبز العشاء الربانى وما أن خلع ميكائيل خوذته حتى تفكك حجر من سقف الكنيسة وسقط على جمجمته العارية فخر فى الحال صريعا .

حظى ميكائيل سكوت وهو لا يزال حيا بشهرة بالعلم تبلغ حد الأساطير وبعد موته انتشر هذا التقدير الخرافى فى كل أصقاع القارة الأوربية كما أنه اخترعت الأقاصيص عن قواه الخارقة للطبيعة وذاعت ذيوعا عظيما فان أوربا كانت اذ ذاك لا تزال غارقة فى حلكة العصور المظلمة وكانت سوق الجهل والخرافة فيها رائجة فكيف لا يعتبرون كساحر قدير على المعجزات ذلك العالم الذى يستطيع أن يقرأ ويكتب ليس فى اللاتينية المعروفة لغة الكنيسة المسيحية فحسب بل فى العربية الغريبة لغة العالم الاسلامى. وليس فى ذلك من عجب فان الناس حين يكون حظهم من العلم الصحيح طفيفا يكونون على اهبة للايمان الساذج بأشياء يرفضها العقل المدرب ويعدها من المحال ولا خلاص من جبروت الجهل ونيره الثقيل المرهق إلا بانتشار المعرفة الحقة .

فنحن مثلا نرى أن كثيرا من الأساطير التى نمت وأحاطت باسم سكوت تعنى بالاشارة بموهبته الخارقة فى التنبؤ بالمستقبل ذلك أنه لا شئ يثير اهتمام النفس البشرية الضعيفة جيلا بعد جيل اكثر من تشوقها وشغفها باستطلاع خفايا ما يكنه القدر فى صحائفه للفرد . ثم إن سكوت باعتباره من علماء السيمياء أو الكيمياء الخرافية عده الناس وكأن لديه وصفات بارعة لتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب إبريز وفى دائرة علمه كل أسرار الموت والخلود، ونحن لا نقرأ عنه فى كتابات الأجيال التالية إلا منكرا فى هذا الزى الشنيع فدانتى يذكره فى جحيمه كأحد اولئك الذين تفقهوا فى أخاديع السحر فتملكوا زمام الخداع المعسول كما أن بوكاشيو

يصفه بأنه من أفذاذ علم العرافة والسحر وتبارى الروائيون من الطليان والاسكتلنديين فى اختلاق براهين جديدة على حكمته الفائقة لاستطاعة البشر، وحتى تتصل حلقة الأساطير قرنا بعد قرن حتى نجد السير والتر سكوت وهو عضو آخر ذائع الصيت من أعضاء قبيلة سكوت، نجده فى اوائل القرن التاسع عشر يقدم إلينا ميكائيل فى (انشودة المغنى الأخير)، وحتى كولريدج العبقرى فكر وقتاً فى وضع قصة تمثيلية عن حياة ميكائيل سكوت إذ كان يعد تلك الحياة عبرة أروع من قصة الحكيم فاوست التى اتخذها كل من كرستوفر مارلو وجوته ملهما لقصة تمثيلية .

ولكن لنا أن نغضى النظر عن كل هذه الأقاصيص الخرافية التى نسجها القصاصون فى القرون الوسطى حول الحياة البسيطة التى عاشها ذلك العلامة فلنقف اهتمامنا على ما نستطيع الآن أن نثق بأنه القسط الذى أسداه ميكائيل سكوت إلى المعرفة الانسانية ولنذكر فضله الحق الذى عليه وحده يقوم استحقاقه لخلود الذكر . توجد كثير من الكتب والدراسات التى تنسب إلى سكوت ولكننا لن نذكر منها إلا ذلك العدد القليل الذى نستطيع أن نجزم بأنه من تأليفه حقا . وأشهر مؤلفاته هو كتاب علم الفراسة الذى يدور على كيفية الحكم على شخصية المرء بدراسة أوصافه الجسمانية ويحتوى على قسم يختص بأسرار التناسل، وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة فى سنة ١٤٧٧ ثم ترجم إلى عدة لغات وعرف أيضا بعنوانه الآخر (كتاب الأسرار الطبيعية) ذلك العنوان الذى أحاط الكتاب بهالة من التقدير الخرافى فان اولئك الذين لم يعرفوا من اللاتينية اكثر من القدر الذى يمكنهم من فهم هذا العنوان خلقوا فى ذهنهم صورا وأخاييل عن العجائب والغرائب التى تحتويها صفحات هذا الكتاب. وكتاب آخر له هو (المسألة الدقيقة عن طبيعة الشمس والقمر) وموضوعه علم السيمياء القديم الذى كان أبا علم الكيمياء الحديث، ومنه البحث عن الكبريت الاحمر . ومن مؤلفات سكوت عن أرسطو ترجمته لكتابه عن الحيوان

وقد نشرت هذه الترجمة فى سنة ١٤٩٢ . وله دراسات أخرى لا تزال فى نسخها الخطية لم تطبع بعد ومن هذه ترجمات لشروح ابن رشد على ما كتبه أرسطو عن (السماء والأرض) وعن النفس. وإذ كان ابن رشد لا يزال حيا حتى سنة ١١٩٨ فان تعليمه كان لا يزال مزدهرا حين بدأ سكوت بدراساته. ولذلك نستطيع أن نعتبر تفاسيره للفيلسوف الاسلامى العظيم حجة يؤخذ بها، وفى الحق إن الفضل يرجع إلى ميكائيل سكوت اكثر من أى رجل آخر فى ذيوع اسم ابن رشد — أو كما ترجم الى اللاتينية أفيروس (Averroes) — فى أوربا فى القرون الوسطى حيث استخدم رجال المدارس المسيحية شروحه على فلسفة أرسطو كأساس بنوا عليه فلسفتهم هم .

أنجبت اسكتلندا كثيرا من الفلاسفة العظام فى تاريخها الطويل الباهر الذى تزدان صفحاته باخلاص متحمس لا ينقطع فى خدمة التعليم وطلب العلم، وفى هذه القلادة النفيسة من العلماء يتخذ ميكائيل سكوت مكانه كجوهرة من أبرز جواهرها سواء فى قدم العهد أو فى غلاء القدر وإن روح الاستطلاع والاستكشاف تلك الروح الخالدة التى حملت الاسكتلنديين جيلا بعد جيل إلى أقصى أطراف الأرض قد حملت سكوت فى عصره ونأت به عن مروجه المحببة إلى قصر بالرمو ومكتبات طليطلة . هناك أهل نفسه لهذا العمل السامى ألا وهو نقل ما تركه فلاسفة الاغريق من تعليم إلى العالم العربى محفوظا من الضياع ومشروحا شرحا صحيحا على يد عظام الفلاسفة فى الاسلام . فهو قد جاهد حتى بنى جسرا يصل بين ثقافتى الغرب والشرق وبهذا ينشئ فلسفة عالمية تتجاوز حدود الجنس واللون والدين فاذا راعينا عصره الذى عاش فيه والحدود التى فرضتها عليه بيئته استطعنا أن نقول إنه حاز قسطا كبيرا من النجاح فى هذا المضمار ولما كان علم الاستشراق الحديث يجاهد فى نفس هذه الغاية فان ميكائيل سكوت يمكن أن يسمى بحق أبا الاستشراق البريطانى وإنه لجدير بأن يعد من أسبق المستشرقين البريطانيين وأجلهم مقدارا .

*

البقال جودت افندى

بقلم اغا عزت

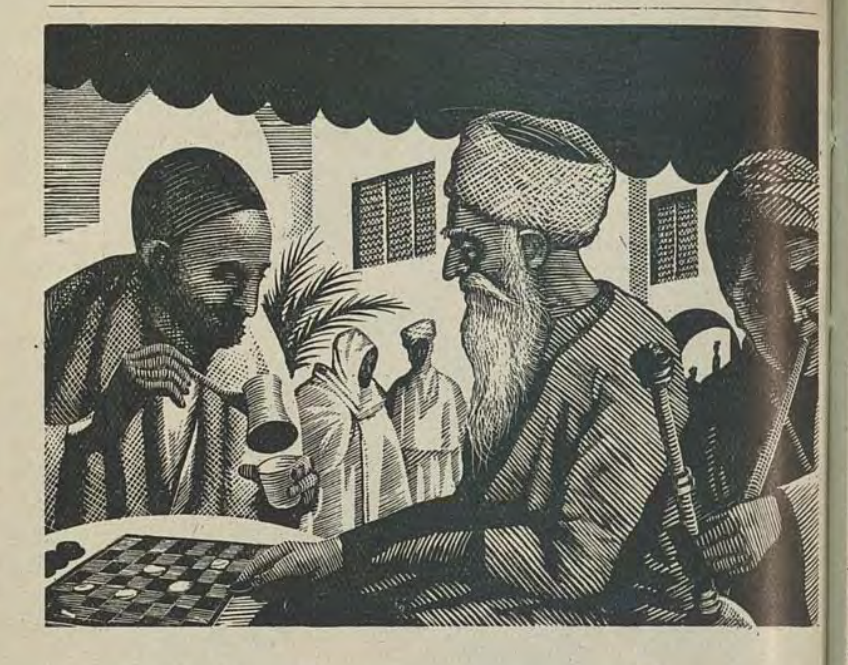
كان احمد قضى خمس سنين كتابع لجودت افندى البقال العجوز الذى احتكر البقالة فى هذا الحى المتواضع من المدينة لنحو اربعين عاما ومع ان احمد لم يكن يشكو لاحد الا انه ربما لم يكن سعيدا بعمله على الاطلاق .

وكان جودت افندى يقوم باطعامه وبكسائه الذى كان يعتمد فيه على كل ما يمكن الوصول اليه من الملابس المستعملة، كما انه اعد لسكنى احمد الغرفة الصغيرة التى تقع الى جوار غرفته فوق محل البقالة . وبلغ اجر احمد اليومى نحو ٢٥ مليما وبالاختصار فمع ان احمد التابع لم يكن جائعا ولا محتاجا وكان عنده من الملابس ما يقيه تقلبات الجو ومن النقود ما يفى بحاجة جيبه فان ذلك كله لم يكن ليكفى شابا مثل احمد فى الخامسة والعشرين كان كجميع من فى سنه يحلم بالملابس الجميلة واللهو وامتاع النفس .

وكان لجودت افندى البقال الوحيد فى الحى زبائن كثيرون . ولكن الايام كانت تمر فى حالة متواضعة، ففى الصباح اعتاد الزبائن من رجال ونساء واطفال ان يترددوا على المحل وتدور ضوضاء البيع والشراء نحو ساعتين ثم يعقبهما صمت عميق يترك فيه جودت افندى المحل لاحمد ويذهب اما الى غرفته لتحضير البرقوق المحلى او الى قهوة الحى حيث يشغل نفسه بلعبة الدومينو والطاولة مع بعض المتقاعدين الذين يكونون فى انتظاره .

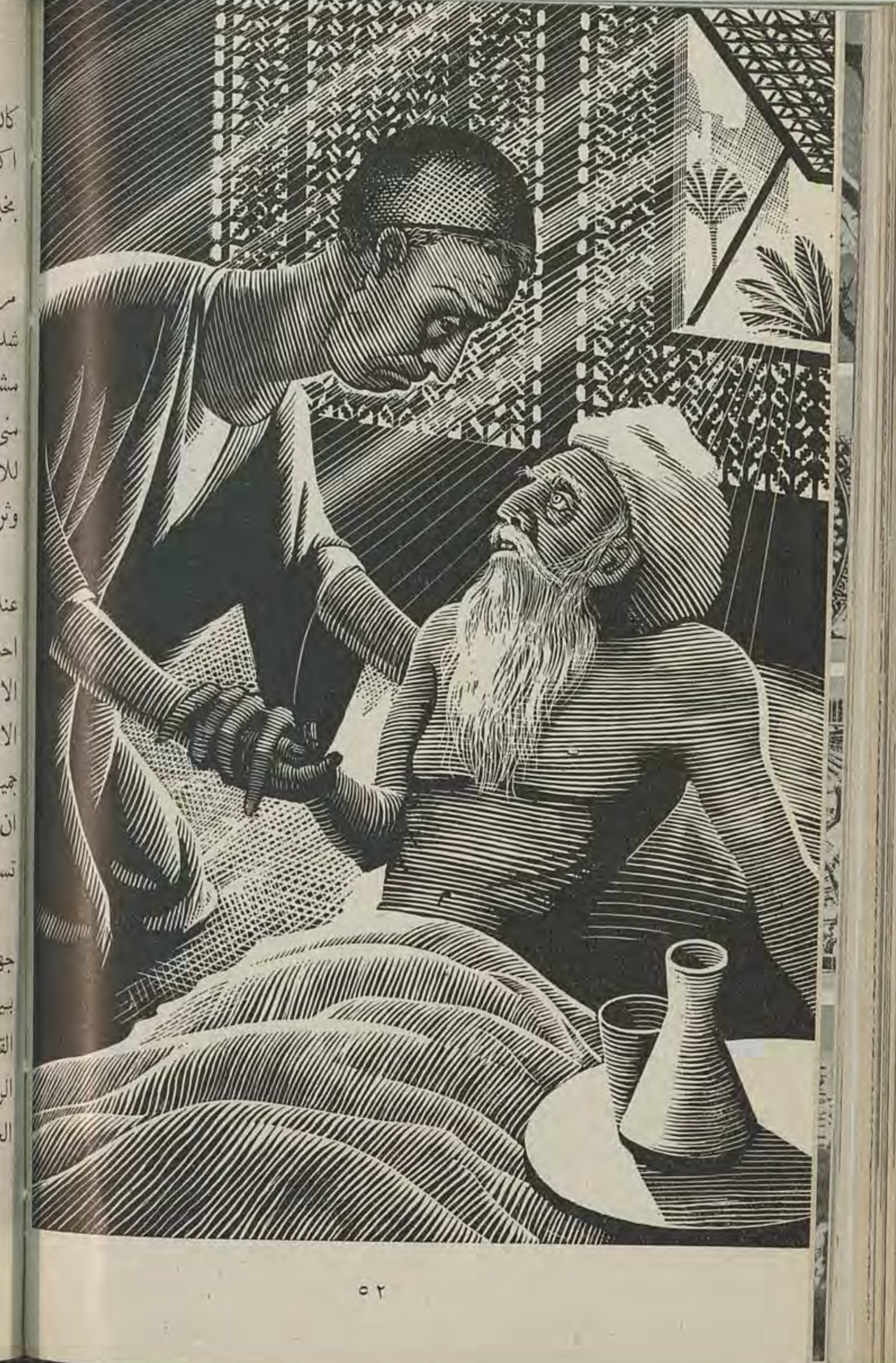
وفى المساء تعاود المحل نفس حركة الصباح . لكن لا تكاد الشمس تغرب صيفا او شتاء حتى ينقطع المارة فى الشوارع ويحين الوقت لجودت افندى وتابعه لغلق المحل والذهاب الى النوم فى الطابق الاعلى .

وكان اهل الحى جميعا يعتقدون ان جودت افندى واسع الثروة وانه



بدلا من انفاق آلاف الليرات التى تجمعت فى محله خلال الاربعين عاما التى قضاها كبقال الحى حولها الى ذهب ودفنها فى جرة فى باطن الارض . والواقع ان طريقة معيشة جودت افندى كانت تبرر اعتقاد اهل الحى فيه . فمع ان عمره كان يبلغ السبعين فان احدا لم يتح له الدخول الى منزله ولم يكن له اقارب او صلة باحد . وكان يطبخ طعامه فى فراغ يقع خلف الدكان اعده كمطبخ ثم يتناوله مع تابعه . ولم يدر فى فكره مطلقا فى سنواته الاخيرة ان يعد لنفسه منزلا صغيرا ويتزوج من امرأة فى منتصف عمرها تتولى العناية بامره . وكان جميع اهل الحى ينتقدون بخل جودت افندى ويتهمونه بانه يعيش عيشة غير آدمية .

وفى يوم من الايام اصيب جودت افندى فجأة بمرض الزمه الفراش وازدادت حالته سوءا على مر الزمان . ووقع عبء العمل كله على تابعه احمد . وكان احمد اذا فرغ من الزبائن قضى وقته اما فى اعداد اللبن او الدواء لسيده او التردد على الطبيب او الصيدلى .



وفى لحظة فتح جودت افندى عينيه بعد نوم عميق ونادى احمد الذى كان ينتظر على قلق بجوار الفراش قائلا «ولدى احمد انى لن اعيش اكثر من خمسة ايام او ستة فاصغ الى جيدا انى اود ان اسر اليك بخبر» .

وبدأ احمد يتسمع بانتباه . وبعد ان تنفس جودت افندى بصعوبة عدة مرات استمر قائلا «لقد اشتغلت عندى يا ولدى نحو خمسة اعوام وانى شديد الامتنان لعملك . وكان الذين سبقوك فى العمل اما لصوصا او مشئومين . ولكنك كنت جديرا بالثقة كما لو كنت ولدى . ولذلك جعلتك منى فى منزلة الابن . وليس لى اقارب يمكن ان يرثوا ما اترك، ولكنى للاسف لا املك ذهبا فى جرة مدفونة فى الارض كما يظن كل انسان . وثروتى قاصرة على هذا المحل وما فيه وخمس ليرات فى الدرج » .

واستمر قائلا «وانى لم اجمع ثروة لانى شخص يسره ان يعطى كل ما عنده للأرامل والسائلين واليتامى كما انى لم اتباه بذلك . ولذلك لم اخبر احدا بما فعلته لمساعدة الفقراء، واوصيت كل من وصله منى نقود ان يبقى الامر سرا لا يعرفه غيره . وعناوين هؤلاء الذين ساعدتهم وواليت الاهتمام بامرهم ومجموع المبالغ التى كنت اهبها لهم كل اسبوع قد اثبتت جميعها فى دفتر الجيب . وانا اهديك محلى ومحتوياته على شرط واحد وهو ان تستمر فيما كنت اقدمه من مساعدات وان توالى الفقير بعطفك وان تستمر على دفع الاعانات الاسبوعية المخصصة من غير تأخر» .

وكان احمد حائرا فى اول الامر بما يسمعه من الاخلاق العالية من جهة البقال العجوز الذى اتهمه الجميع بالبخل ولكنه لم يلبث ان امسك بيده والدموع تملأ عينيه . وبعد يوم او يومين تمت جميع الاجراءات القانونية وحول محل جودت افندى البقال بما فيه من بضائع الى ولده الروحى احمد . وبعد اسبوع قضى جودت افندى فى سلام مودعا هذا العالم .

وقد وافق بعض الناس على عمل جودت افندى البقال وعلى معيشته

المعتزلة مع انه كان فى صحة جيدة وعلى مثل ما كان يعمله من توزيع امواله مما لا يفعله غيره . على ان بعض الآخرين لم يقروا صنعه .

وهؤلاء الذين وافقوا على اعماله كان رأيهم انه من المروءة ان يضحى المرء بنفسه ليوقى الآخرين شر الفقر . وهؤلاء الذين لم يوافقوا على تصرفاته كان رأيهم ان كل شخص يكسب عيشه بالعمل والسعى لاكتساب الزبائن من واجبه بالنسبة للمجتمع والمدنية ان يحيا حياة انسانية بطريقة مريحة . ومع انه قد يكون عملا عظيما من الناحية الروحية ان يعمل المرء على ازالة متاعب الآخرين الا انه ليس من حق احد ان يقضى على نفسه باعتزال العالم .

اما ان اى الفريقين على حق فى رأيه فنحن لا نبدى رأيا اعتقادا منا بان الفصل فى ذلك ليس من اختصاصنا ونقتصر كقصاصين على رواية الحادثة كما وقعت .

(مترجم من الاصل التركى.)

★

كونفوشيوس ومقتطفاته

بقلم الدكتور ليونيل جايلز

ترجع بعض شهرة كونفوشيوس خارج وطنه الى الحقيقة المعروفة من ان احد المبشرين اليسوعيين القدماء قد حرف اسمه (كونج فو تزو او المعلم كونج) واعطاه صيغة لاتينة وجعله كلمة يسهل التلفظ بها حتى عم رواجها فى جميع انحاء العالم . ولقد كانت عائلته تعرف باسم كونج وكان اسمه الشخصى تشيو كما انه كان يعرف غالبا عند خاصة اصدقائه باسم تشونج - نى. على ان مذهب كونفوشيوس لم يترق الى مرتبة المذهب القومى الا بعد ان توفى صاحبه بنحو ٣٠٠ عام نشأت فى خلالها حول اسمه بعض الأقاصيص والخرافات التى سرعان ما اعترف بها كحقائق تاريخية . وقد ادرجت بعض هذه الاقاصيص فى تأليف المؤرخ سو — ما تشيان فى بابه المفصل عن كونفوشيوس، وهذا الباب اول محاولة لوضع سيرة له منظمة . ويجب ان نزيد حذرا واحتياطا فى كل ما يروى من اخباره بعد ذلك التاريخ .

يقال ان كونفوشيوس قد ولد حوالى منتصف القرن السادس قبل الميلاد فى قرية قريبة من عاصمة ولاية لو القديمة (مقاطعة شانتونج الحالية) وكان والده جنديا اشتهر بالقوة وشدة البأس وقد تزوج من سيدة تقل عنه فى العمر كثيرا ثم توفى وولده الوحيد فى الثالثة من عمره وبقيت عائلته فى حالة فقر وحاجة . وتزوج كونفوشيوس نفسه فى سن التاسعة عشر وانجب ولدا لم يعرف بالامتياز فى شىء وفتاتين لا نعرف عنهما شيئا بتة . وبعد ان اشتغل كونفوشيوس فى وظيفة صغيرة بادارة الحبوب تركها الى التدريس وسرعان ما احاطت به جماعة من الطلبة المخلصين. ويقال انه فى سن

الخمسين التحق بخدمة عائلة تشى من اعيان مقاطعة لو وعين حاكما لاحدى مدنها . ومن الراجح ان هذا الخبر ثابت ثبوتا كافيا اما ما روى من انه عين بعد ذلك مديرا للاعمال ووزيرا للجرائم فى حكومة الامير تينج فقليل الاحتمال لاسباب كثيرة ويجب عدم الأخذ به نظرا لانه لم يقم عليه دليل كاف . كما انه لا يمكن ان نثق بالرواية المثيرة التى تذاع عن احدى مؤامرات القصر التى انتهت باقصائه عن عمله الرسمى فى عام ٤٩٦ قبل الميلاد . وكل ما نعرفه انه لسبب من الاسباب حل به غضب اولياء الامور فاضطره ذلك الى هجرة موطنه والتجول الدائم لمدة اثنى عشر عاما صحبه فيه بعض المخلصين من اتباعه وتلاميذه . فأخذ ينتقل من ولاية الى أخرى باحثا عن حاكم من حكام النظام الاقطاعى قد يكون على شئ من النور والعلم حتى يطبق تعاليمه . وقد قابله بعضهم بشئ من الرعاية وبعضهم بعداء صريح ولكن احدا منهم لم يعهد اليه بالعمل الذى رأى نفسه اهلا له. وسمح له فى آخر الامر بالعودة الى ولاية لو وذلك كما يظهر بمسعى بعض تلاميذه السابقين فعاد اليها عجوزا متعبا متشائما وهناك قضى السنوات الخمس الباقية من حياته بعيدا عن الاشتراك فى السياسة ومشتغلا بالتأليف وربما كان من بين ما الفه « كتاب الاغانى » وتدوين الوقائع التاريخية المعروف باسم « سجلات الربيع والخريف » . وكان كونفوشيوس فى الظاهر قد فشل فى رسالته ولكنه قد ألقى البذور التى ولو انها اخذت وقتا طويلا حتى تم نضجها فقد قدر لها ان تأتى باعظم الثمرات .

وكونفوشيوس كسقراط قد اعتمد فى تعاليمه على المشافهة ولم يترك كتابا دون فيه مذهبه . ولكن لم تفقد جميع حكمه واقواله اذ بقى الكثير منها فى ذهن اتباعه الذين نقلوها الى اتباعهم وتلاميذهم . ويبدو ان بعضها قد اثبت بالكتابة عندما نطق بها صاحبها اذ قد روى فى مرة من المرات على الاقل ان شخصا استفتاه وكتب جواب المعلم على حزامه. وبذلك توافرت مجموعة لحكم كونفوشيوس تدريجيا وبعد مرور قرن على وفاته وجد



منحوت للفيلسوف الصينى العظيم كونفوشيوس .

مصنف من اقواله ربما كان هو الذى وصل الينا باسم «لون يو» او المقتطفات . وهذا التأليف فى شكله الحاضر منقسم الى ٢٠ كتابا وكل كتاب الى عدة فصول قصيرة تحتوى فى غالبها على اقوال مجردة وأجوبة على اسئلة فى موضوعات اغلبها اخلاقية وشخصية . ويمكن تقسيم هذه الكتب الى مجموعات مختلفة فى اصلها وتاريخها كل الاختلاف، والواقع ان المواد لا تكون او لا تكاد ان تكون مرتبة ترتيبا منظما . هذا ما عدا الكتاب العاشر الذى خصص كله لتفاصيل مختلفة خاصة بالسلوك الشخصى وهى تفاصيل ظن من وقت قديم انها راجعة الى كونفوشيوس نفسه، ولكن يظن بعضهم الآن انها ربما كانت نقلت عن بعض الرسائل القديمة فى الرسوم ثم طبقت على كونفوشيوس . على انه مما لا شك فيه ان المعلم الكبير قد اقر كثيرا من هذه المبادئ وكل ما نعرفه عنه يدل على انه كان رجلا نبيلا فى غريزته ونشأته . فنستطيع مثلا ان نقطع بانه كان يبدو جادا حزينا عند رؤية شخص فى حداد ولو كان من خاصة معارفه، كما انه كان يبدى نفس الاحترام عند مقابلة الموظفين فى أرديتهم الرسمية وعند مقابلة العميان مهما كان بلاء ثيابهم . على ان هناك فى بعض التصرفات

من الشذوذ ما يثير السخرية ومما يدعو الى الارتياح ان هذا الشذوذ يحتمل الا يرجع الى المعلم نفسه. من ذلك ما نقل من انه «عند ما مر بعرش الامير بدت عليه علامات التغير وتخاذلت قدماه وخانته الكلمات» وان «ملابسه الليلية يجب ان تكون أطول مرة ونصف مرة من طول جسمه» وانه «لم يكن يتكلم عند تناول الطعام ولم يكن يتكلم وهو على فراشه» وانه «كانت تتغير ملامح وجهه عند لمح البرق او هبة الريح المفاجئة». ويظهر ان بعض الكتب الاخرى ايضا ما هى الا اضافات متأخرة. فاحد الكتب مثلا خصص باكمله لأقوال تلاميذه البارزين وكتاب آخر يبدو متأثرا بتعاليم «تاو» بشكل ان يكاد يكون مضادا لتعاليم كونفوشيوس فى وضعه العام. على انه مما لا شك فيه ان جل المقتطفات يمكن قبوله بكل ثقة على انه ان لم يحتو على نص اقوال كونفوشيوس فى كل مرة فهو على الاقل مرآة صادقة لجملة تعاليمه.

ويجب الا يدور فى الذهن ان كونفوشيوس فرض على نفسه اثبات اساليب صريحة فى الفلسفة او انه كان، من باب اولى، معلما دينيا فى اية صورة من الصور. وقد كانت ديانة اهل الصين فى ايامه، مثل ديانتهم فى الايام الحاضرة، تعتمد على مصالحة او عبادة ارواح الموتى وعلى الاخص ارواح الموتى من اجداد الاسرة. وقد رضى كونفوشيوس بهذا المذهب وان كان فى هذا متأثرا بحبه للتقاليد القديمة اكثر منه بالاقتناع والايمان. وقد تفادى البحث فى موضوع ما بعد الحياة ولم يعد اهل الخير والفضيلة باكثر مما يناله الرجل من استراحة ضميره. وتبدو ميوله الشكاكة فى اجابته على سؤال عن واجب الانسان نحو الكائنات الروحية اذ قال «كيف يمكن ان نقوم بواجبنا نحو ارواح الموتى قبل ان نقوم بواجبنا نحو الاحياء»؟ وقد تساءل تشى — لو عن الموت فاجابه المعلم «كيف يمكننا ان نعرف ماهية الموت قبل ان نعرف ماهية الحياة»؟ وقال ان من رأيه «ان التفانى فى دراسة ما فوق الطبيعة عمل ضار» وان الرجل العاقل «مع احترامه للارواح يجب ان يبقيها بعيدة عنه». على ان

هناك اقوالا متعددة لكونفوشيوس تدل على انـه كان يعتقد باخلاص، ولو كان فيـه شئ من الغموض، فى وجود اله واحد عز وجل يجب ان يقيم له الحاكم بالنيابة عن شعبه العبادة والقربان . وقد حدث مرة ان رئيس وزارة مقاطعة وى الذى ظن ان كونفوشيوس قد حضر طالبا لوظيفة وأراد ان يشير الى ان السلطة الحقيقية كلها فى يـده لا فى يد الامير، سأله قائلا «ما معنى القول الثائر ان من الأحكم استرضاء اله البطون بدلا من استرضاء اله المحراب » فاجاب المعلم «ان القول باطل وان الذى يخطئ فى حق الاله لن يعتمد على شفاعة احد » . ومن الاقوال التى يشك فى صحة نسبتها الى كونفوشيوس ما يدل على اعتقـاده فى رسالته المقدسة كراعى المدنية .

على ان الاثر العام الذى تتركه المقتطفات هو انه كان يعتقد قبل كل شئ فى استطاعة الطبيعة البشرية وقدرتها واتجاهها الفطرى للخير وقد قال «ان جميع الرجال قد ولدوا مستقيمين ومن يفقد استقامته ثم استمر حيا فما احسن حظه فى نجاته » . فماذا كان تصور كونفوشيوس لمعنى الاستقامة او الفضيلة ؟ انه يستعمل فى الدلالة على هذا المعنى كلمة «جن » وهى ركـن الاساس فى مبادئ الاخلاق الكونفوشية . فالرمـز الصينى لهذه الكلمة يتركب من عنصرين اى «رجل » و «اثنين» وهاتان الـكلمتان تثيران فكرة العلاقة بين الرجل والآخر او ما يمكن تسميته بالانسانية . وهى طيبة قلب الانسان الطبيعيـة تنشأ فى اول الامر من الاحساس بالعطف والشفقة نحو الآخرين ثم تهذب وترقى الى اعلى درجة من الكمال . وليس فى القاموس كلمة تجمع كل معانيها المختلفة ولكن كلمات الخير والاحسان والشفقة والحب وفى معنى اعم كلمة طيبة او «فضائل الاخلاق » كلهـا كلمات مناسبة قد تؤدى المعنى فى احوال مختلفة . «قد استفتى فان تشيـه عن معنى الطيبة الحقيقية («جن ») فاجابه المعلم انها حب اخوانك من بنى الانسان . فاستفتى بعد ذلك عن معنى الحكمة فاجابه المعلم انها معرفة اخوانك من بنى الانسان » . وقال ايضا « ان الرجل الفاضل يفكر فى

الاشياء الصعبة اولا ويجعل للاعتبارات المادية المحل الثانى » والشيء الصعب عنده هو العمل الفاضل الذى يقوم به لاجل ذاته بصرف النظر عن العواقب . وقال ايضا «ان الرجل الطيب حقا يجب ان يكون من اصحاب الشجاعة ولكن ليس من المحتم ان يكون الرجل الشجاع طيبا » . وكلمة « جن » فى بعض الاحوال لا تختلف كثيرا عن كلمة « شو » وهى الكلمة التى استعملها المعلم عندما سئل عما اذا كان هناك قاعدة واحدة يمكن ان يسير عليها الانسان مدى حياته فاجاب «لا شك انها مبدأ الاحسان وهو الا تعمل لغيرك ما لا تحب ان يعمله لك » . وقد فسر احد كبار اتباعه ذلك المبدأ الذى ساد كل تعاليم المعلم بانه عبارة عن « اخلاص المرء لنفسه واكرام الجار » يعنى باخلاص المرء لنفسه الاستقامة واداء الواجب .

على ان هناك عاملا رئيسيا آخر فى دستور الانسان الاخلاقى يجب الا يهمل وهذا العامل الآخر هو ما عبر عنه كونفوشيوس بكلمة «لى » وهى كلمة تتردد دائما على شفتى المعلم وكان معناها الاول «الابريق » ثم تحول الى الغسل ثم الى الرسوم والى السلوك الذى يناسب كل حالة فى معاملات الانسان، وزيادة على ذلك، الى حالة النفس التى ينجم عنها مثل هذا السلوك . وهذه الحالة حالة الاعتدال المتناسب شأنها ان تضع حدا للميل الى المبالغة والاندفاع فى اية جهة . يقول «فبدون مراعاة الاعتدال فالمجاملة تصبح غبنا والحكمة تصل الى الجبن والشجاعة تؤدى الى التهور والصراحة تصير غلظة » . وذلك المعنى هو الملازم الطبيعى لمعنى «جن » ومن التعاريف التى عرفت بها هذه الكلمة انها «اخضاع النفس ورجوع الانسان الى تحقيق شعوره الطبيعى بما يليق به — ان لا تستعمل عينيك ولا اذنيك ولا قدرتك على الكلام او الحركة بغير ان تخضع نفسك لذلك القانون الداخلى الحاكم على وجدانك » . وقد كان بعض المترجمين للمقتطفات يبالغون فى فرضهم انه اينما وجدت كلمة «لى » فانها تشير الى قاعدة مذهبية او ادبية معينة ونشأ من ذلك الفكرة القائلة بان

كونفوشيوس كان ضيق الفكر شديد التعلق بالمظاهر والرسوم الجافة فى كل نواحى الحياة وهذا بعيد جدا عن الحقيقة اذ انه ولو ان الرسوم التى مضت عليها القرون كان لها عنده تقدير كبير يتفق مع غريزته المحافظة فانه من الواضح انه كان يعدها تافهة وعديمة الاهمية اذا تجردت من الشعور الباطنى. وقد قال مرة «ان رجلا بغير عاطفة الاحسان فى قلبه فما يفيده الرسوم »، وقال مرة اخرى «ان البساطة فى جميع الرسوم افضل من المبالغة ففى الحزن على الميت فالاسف الصادر من القلب افضل من المبالغة فى مراسم الحزن وشكلياته » .

على ان معنى الكمال فى الطيبة لا يوجد الا فى القديسين والحكماء الملهمين وهم قليلا ما يظهرون على سطح هذه الارض . ويمكن لكل من ركز تفكيره باخلاص فى الفضيلة «وجعل من معنى الواجب اساس اخلاقه وجمع اليه فى العمل معنى الاعتدال المتناسب واظهر ذلك كله بروح خالية من الانانية وكلله بالاخلاص والصدق » ان يصل الى حد قريب من المثل الاعلى . ومثل هذا الرجل هو من يوصف بالكلمة الصينية تشون تزو ومعناها مثال الامراء وهو ضد المثل الدنىء او الحقير ولذلك « يكون الرجل من مثال الامراء متمسكا بالفضيلة والرجل الوضيع متمسكا بالمتاع المادى، وينشد الرجل من مثال الامراء العدالة والرجل الوضيع الامل فيما يناله من عطف الآخرين » . ولذلك « يكون النوع الممتاز من الرجل هادئا وديعا ويكون الرجل الوضيع ثائرا قلقا» .

ويبدو ان كونفوشيوس لم يضع حدا فاصلا بين الاخلاق الشخصية والاخلاق السياسية. فان المبادئ الاساسية التى وضعها للافراد من نوع مثال الامراء هى عنده بطبيعة الحال نفس المبادئ التى يطبقها على اى اشخاص مهما كانت الوظائف التى كلفوا بها . والشرط الاساسى للحكومة الصالحة عنده هو ان يكون الحاكم نفسه فاضلا ومستقيما. يقول « اذا كان الرجل يستطيع ان يصلح قلبه فليس هناك ما يمنعه من ان يكون صاحب نصيب فى الحكم اما اذا لم يستطع ان يصلح قلبه فانه ليس بأهل

لاصلاح الآخرين » . كان هذا سر الملوك الحكماء الاقدمين اولئك الحكماء الذين لا يمل كونفوشيوس من عرضهم على جيل معاصريه كمثل يمتثلون به . كان من ظنه ان تأثيرهم قد يسرى فى الشعب اجمع بمجرد قوة مثالهم الاعلى لان «من طبيعة الحشائش ان تنحنى امام عصف الرياح » اما القانون والعقاب فليس لهما الا اهمية قليلة لان «الاشخاص الذين يحكمون عنفا وجبرا ويخضعون للقانون خوفا من العذاب قد يتجنبون الجرائم ولكنهم يفقدون احترام انفسهم، اما الاشخاص الذين تحكمهم قوة المعانى ويخضعهم الهام الشعور المستقيم فانهم سيحتفظون باحترام انفسهم بل وسيصبحون اخيارا » .

و كونفوشيوس كما رأينا لم تكن له خبرة ذات شأن فى الادارة العملية. ومع انه كان يشعر بانه جدير بمركز من مراكز النفوذ والسلطة فان تقديره لقواه كان متواضعا الى حد كبير . وقد قال «ستجد بلا شك فى اية قرية لا يزيد عدد بيوتها على الاثنى عشر، رجالا فى مثل نزاهتى وضميرى غير انهم قد لا يكونون فى مثل تفرغى للدرس » (يعنى بذلك اصلاح النفس بكل معانيه) . وقد اعترف كونفوشيوس بتخيره لآثار القدماء واعلن ان عمله هو النقل لا الابتكار. وقد صرح فى ساعة هياج وقلق «الفشل فى غرس الفضيلة والفشل فى فحص وتحليل ما تعلمته والعجز عن متابعة الطريق المستقيم بعد ان وضحت لى معالمه والعجز عن اصلاح اخطائى كل هذه هى اسباب حزنى وألمى » . وقد كان اكثر عدلا فى تقديره لنفسه عندما قال «انى لا ادعى انى قدست الحكمة واكملت الفضيلة وكل ما استطيع ان اقوله عن نفسى هو انى لا اتوانى فيما اختططته لنفسى من طريق وانى لا اكل فى تثقيف الآخرين : هذا ولا شىء بعده » . وقال كونج – شى هوا «ولكن ميزة المثابرة هذه هى ذاتها ما عجزنا عن ادراكه نحن تلاميذك » .

ويبدو ان كونج – شى هوا كان من خاصة التلاميذ الذين اتيح لهم الاتصال القريب باستاذهم . وقد ظهر خلاف الاخلاق والميول لهولاء

الشبان فى كتاب المقتطفات بكل وضوح وباسلوب فنى يزيد الكتاب طرافة . فهناك اولا ين هوى وهو مثل صادق لتعليم كونفوشيوس وقد توفى فى ريعان شبابه وحزن الكل عليه حزنا شديدا . قال عنه استاذه «لقد كان هوى فيلسوفا حقا ولو ان رجالا آخرين عاشوا مثل عيشته فى حارة حقيرة وعلى طبق واحد من الطعام وجرعة واحدة من الشراب لما استطاعوا ان يتحملوا هذه الفاقة ، ولكن هوى كان منشرحا على الدوام وكان فيلسوفا حقا» . ثم هناك ترو لو المغتر المندفع المخلص ومع ان المعلم لم ير بدا من معاتبته مرارا كثيرة فلا شك انه كان بينه وبين استاذه رابطة عطف ومودة قوية . كان هو «الرجل الذى يفصل الدعوى الطويلة فى كلمات قليلة» ، «ولم ينم على وعد» . وهناك ايضا ترو كونج الباحث الجدى والمحقق النشيط الذى تخصص فى درس الرسوم وعرف باعجابه بكونفوشيوس فى حياته وفنائه فى ذكراه بعد وفاته . ثم ترنج ترو (اى الفيلسوف ترنج) الذى انشأ فيما بعد مذهبا خاصا له وكان من كبار رواة تعاليم كونفوشيوس وان كان صبغها الى حد ما بمبالغاته فى واجبات بر الوالدين . ثم جان تشيو الذى كان رجلا ماهرا واداريا باهرا وان كان ميله الى الرخصة فى الاخلاق بعض الشىء قد عرضه لغضب الاستاذ اكثر من مرة . قال عن نفسه «ليس الامر انى لا اجد متعة فى تعاليم استاذى ولكن قواى هى التى تخوننى» فاجابه استاذه «ان هؤلاء الذين تخونهم قواهم يسقطون صرعى على جوانب الطريق ، ولكن ما تعمله انت هو ان تقيم حواجز لن تجتهد ان تعبرها» .

وربما يكفى ما بيناه دلالة على مقدار الاحترام العظيم الذى يكنه الصينيون دائما للمقتطفات . ومن اعظم حظنا ان يكون مثل هذا الكتاب قد صنف فى عهد كان فيه فن الكتابة فى طفولته، وان يكون قد احتفظ خلال هذه القرون الطويلة بحالته الاولى . ولا شك ان السبب فى ان كونفوشيوس قد اخذ مكانه المستحق كاكبر حكماء الصين يرجع الى تأثير هذا الكتاب على حكم الخلف .

ستة قرون فى خدمة التعليم

بقلم الدكتور ا. ج. اربرى

كلية بمبروك — بكمبردج — هذا الاسم الذى نظر اليه لسنوات عدة كرمز للدراسات الشرقية، فهناك فى بمبروك عاش ادوارد جرانفيل براون اشهر استاذ عاش خارج البلاد الفارسية معرفة للغة تلك البلاد وتاريخها وآدابها. ولا يزال على قيد الحياة اليوم، لا فى بلاد الفرس وحدها بل وفى انحاء العالم الاسلامى طرا من يعتزون بذكريات زياراتهم للعلامة براون فى حجرته الخاصة بكلية بمبروك وتلقيهم لحفاوته وكرمه الحار عندما كان يستضيفهم لغذاء او عشاء فى قاعة الطعام بالكلية. بيد ان عدد الذين يبجلون ذكرى براون ممن لم يزوروا انجلترا فى حياتهم قط لا يزال يفوق هؤلاء الذين حظوا بمعرفته الشخصية، كما ان الاسمين بمبروك وكمبردج هما اسمان مألوفان لديهم لصلتهما التى لا تنفصل بذكرى براون الخالدة.

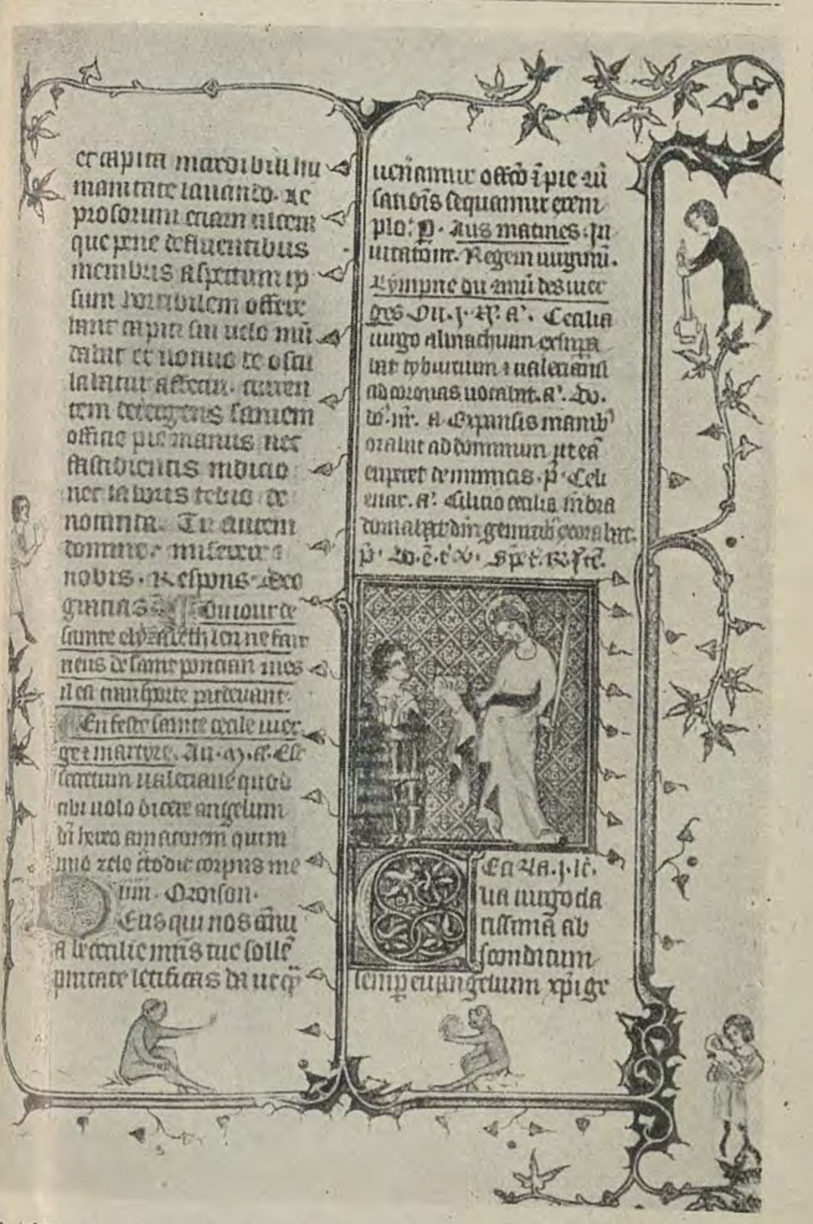
وسيقدم الكاتب فى الاسطر التالية، وهو مثل براون من اعضاء كلية بمبروك ومثله ايضا من تلامذة الثقافة الاسلامية ممن اشتد تأثرهم واعجابهم بها، سيقدم الكاتب لمحات قصارا عن تاريخ تلك الكلية راجيا ان يجد القراء فى انحاء الممالك الاسلامية شيئا من المتعة والتسلية فى قراءة ذلك التاريخ.

اسست كلية بمبروك فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٣٤٧ اى بعد مضى اقل من قرن على وقوع بغداد فى يد هولاكو خان وانقراض دولة الخلفاء العباسيين المحزن، وهكذا فهى ثالث كلية انشئت فى كمبردج اذ لم يسبقها سوى كلية بيترهاوس التى اسست عام ١٢٨٤ وكلية كلير التى تم تأسيسها عام ١٣٢٦. وكانت مارى اوف سانت بول



فى الاعلى : منحوت لكلية بمبروك كما كانت فى نهاية القرن السابع عشر.

فى الاسفل : منحوت لواجهة كلية بمبرك فى القرن التاسع عشر.



صحيفة من كتاب الادعية الذى كتب بباريس يبين صورة مؤسسة كلية بمبروك مع سانت سيسيليا .

(Mary of St. Pol) كونتيسة بمبروك وارملة آيمر دى فالنس ايرل بمبروك هى التى امدت بالمال والاملاك اللازمة لتأسيس كلية بمبروك وقد ولدت مارى بين عام ١٢٩٦ و ١٣٠٣ وكانت ابنة جاى كونت سانت بول فى مقاطعة (بادى كاليه) بنورماندیا الذى ينحدر من سلالة شاتيون الفرنسية الشهيرة وقد تزوجت من ايرل بمبروك فى عام ١٣٢١ ولكن زوجها توفى ولم يمض على زواجهما اكثر من ثلاث سنوات، بيد ان الارملة لم تتزوج بعد وفاة زوجها بل اوقفت بقية حياتها على الاعمال الخيرية .

وماتت مارى فى السادس عشر من شهر مارس سنة ١٣٧٧ وهى قريرة العين برؤيتها للكلية التى جاهدت فى سبيل تأسيسها تسير فى طريق النجاح لخدمة التعليم الذى استمر خلال تقلبات ستة قرون حتى يومنا الحاضر .

وفى الرخصة الملكية التى منحها الملك ادوارد الثالث للكلية تقرر ان يكون للكلية رئيس او مشرف وثلاثون عالما او طالبا وان يكون ٢٤ شخصا من بين هؤلاء الثلاثين ممن يطلق عليهم «زملاء» وستة تلاميذ (والزميل هو احد تلامذة الكلية يوالى اتخاذ كمبردج محلا لاقامته بعد تخرجه اى حصوله على درجة الجامعة ويعاون اجمالا فى شئون ادارة الكلية كما يقوم ببعض التدريس ويوالى البحث فى



فنجان المؤسسة . وهى احدى اقدم التحف البريطانية الفضية ونقوشها تمثل ثانى اقدم العلامات التجارية التى يرجع تاريخها الى عام ١٤٨١ .

اى فرع من فروع العلم). وكانت هبة المؤسسة فى الواقع لا تتسع لاكثر من رئيس وستة زملاء وطالبين، بيد ان دخل الكلية ظل ينمو بتعاقب السنين عن طريق تبرعات المحسنين حتى غدت تتسع فى الوقت الحاضر لرئيس وخمسة عشر زميلا وعدد كبير من الطلاب، ويبلغ متوسط طلابها فى اوقات السلم حوالى ٣٠٠ طالب .

وفى تاريخ الكلية الطويل تلقى التعليم الجامعى بها رجال بارزون — رجال قد تركوا اثرهم فى كل نواحى الحياة بعد مغادرتهم للكلية — بيد ان المقام لا يتسع هنا الا لذكر قلائل من هؤلاء .

ومن الطبيعى ان يكون اشهر ابناء كلية بمبروك هو (وليام بت الاصغر) رئيس الوزارة البريطانية فى الوقت الذى توجهت فيه مطامح نابليون نحو تكوين امبراطورية عالمية . ومن الذخائر التى تقع فى حوزة الكلية هو ذلك الخطاب الذى ارسله والد بت ايرل اوف تشاتهام الى رئيس الكلية (جيمس براون) حينذاك وفيه يخبره عن عزمه على ارسال ابنه وليام الى الكلية كطالب، وفى الخطاب ما يستحق الملاحظة اذ انه يبين عن الاحترام العظيم الذى كان يتمتع به رئيس الكلية فى القرن الثامن عشر فنرى ايرل تشاتهام الذى احتل رئاسة الوزراء هو ايضا لعدة سنوات يوقع على الخطاب المرسل الى الرئيس بعبارة (عبدكم المخلص المطيع) . والتحق وليام بت بكلية بمبروك عام ١٧٧٣ واختار حجرتى نومه وجلوسه فى « فناء اللبلاب » (Ivy Court) ، وفى نفس هاتين الحجرتين عاش ادوارد جرانفيل براون فيما بعد لعدة سنوات . وظل بت مقيما بالكلية فترة طويلة حتى غادرها اخيرا فى عام ١٧٨٠، ثم التحق بالبرلمان فى السنة التالية وفى عام ١٧٨٣ عين رئيسا لوزارة انجلترا ولما يتجاوز من العمر ٢٣ عاما . ومن شاهد من القراء الفلم السينمائى الشهير « مستر بت الصغير » حيث قام روبارت دونات بتمثيل شخصية ذلك الرجل النابغة يعرف شيئا عن تلك الشخصية الفذة .

كان وليام بت خطيبا مجيدا كما كان سياسيا حكيما ثاقب الفكر ولا تزال

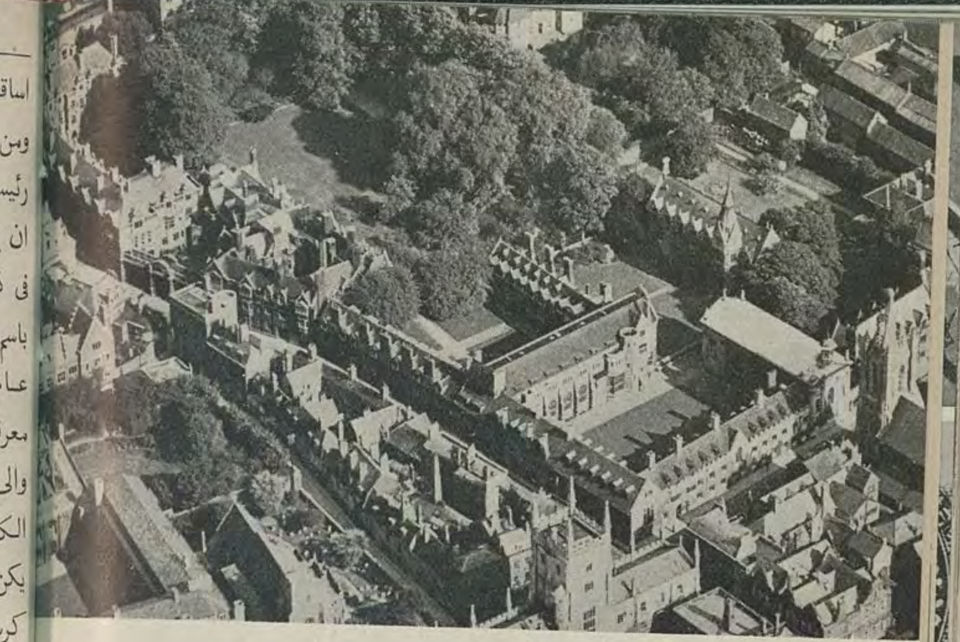
فى الاعلى : الحوش القديم لكلية بمبروك .
فى الاسفل : الحوش الجديد لكلية بمبروك .

آراؤه النبيلة التى عبر عنها فى لغة لن يبيدها الزمن لا تزال تبعث الالهام فى ارواح ابناء وطنه الذين تعودوا فى السنوات الاخيرة ان يسمعوا نفس تلك الآراء الجريئة تخرج فى عبارات لا تقل تأثيرا فى نفس سامعها على لسان رئيس وزراء بريطانيا الحالى. يقينا كم يصعب الا يظن الانسان وهو يقرأ كلمات وليام بت بانه انما ينصت الى خطاب يلقيه ونستون تشرشل. وللدلالة سأقتبس بضع عبارات من خطاب القاه وليام بت على مسامع مجلس النواب فى عام ١٨٠٤ قبل وقوع معركة ترفلجار بعام واحد عندما اصطفت جنود نابليون على بعد ٢٠ ميلا ليس الا من شواطئ بريطانيا وقد عقدت النية على توجيه الضربة الاخيرة لآخر حصن من حصون الحرية فى اوروبا . «لا ارانى بحاجة لان اذكر المجلس» قال بت «بأننا قد وصلنا الى عهد جديد فى تاريخ الامم وبان الداعى يدعونا للجهاد لا من اجل مصير هذه الامة فقط بل لحماية العالم المتحضر باجمعه . يجب ان نذكر باننا لا نخضع لهذا الحرمان الذى لا نظير له من اجل انفسنا وحدنا . ان لدينا الآن واجبنا المقدس نحو انفسنا، فعلينا وقاية انفسنا، بيد ان واجب الشعب الانجليزى اليوم يقع فى مرتبة اعلى وانبل من كل هذا . فعلينا اولا وقبل كل شئ ان نزود انفسنا بما يضمن حمايتنا ضد عدو لا يعرف عداوه لهذا البلد حدا، بيد ان هذا لا يجب ان يحد من نظرنا او مجهودنا نحو قضية مقدسة . ففى وسط هذا الدمار والبؤس والشقاء الذى يحيق بالامم نرى من حقنا ان نبتهج وان نعتز بأننا ظللنا ارفع من ان يمسنا هذا الطموح وهذا الاستبداد الجبار ويحق لنا ان نفخر ايضا لاننا لا نزود انفسنا بما يكفى حمايتنا وحدنا بل اننا ندل امما ترزح تحت طوق حديدى من الاستعباد على ما يمكن ادراكه بواسطة الجهود التى تبذلها امة حرة . وان هناك فى هذا الركن من العالم على الاقل لا يزال اسم الحرية يبجل ويكرم ويقدس . »

وبينما يعد وليام بت من ابرز ابناء كلية بمبروك فى العالم السياسى فللكلية حق الفخر باسم آخر لا يقل شهرة وذيوعا فى عالم الادب . جاء

ادموند سبنسر الذى اشتهر بنوع خاص لقطعته الشعرية «الملكة الجنية » (The Fairie Queene) الى كلية بمبروك كطالب فقير يقوم ببعض الخدمة فى الكلية مقابل اقامته بها وقد حدث هذا فى صيف عام ١٥٦٩ وقد حصل على درجته فى عام ١٥٧٣ . ويعد سبنسر ثانى اكابر الشعراء فى الادب الانجليزى اذ يعد جوفرى تشوصر اولهم ويطلق عليه، اى سبنسر، اسم «شاعر الشعراء » وذلك لان كثيرين من الشعراء الذين جاءوا بعده كانوا يجدون متعة كبيرة فى دراسة شعره ومن هنا كان له تأثير واضح على كتابتهم .

وهناك فى بمبروك ايضا عاش شاعر من عظماء الشعراء البريطانيين وهو توماس جراى الذى ولد عام ١٧١٦ وتوفى عام ١٧٧١ . وقد كان جراى ينتمى فى الاصل الى كلية بيترهاوس (Peterhouse) وهى احدى جارات بمبروك ولكن حدث فى ليلة فى عام ١٧٥٦ ان اوقعه بعض زملائه فى العوبة بقصد المزاح ذلك انهم وضعوا برميلا مملوءا بالماء تحت نافذة حجرته وصرخ احدهم قائلا «النار النار» ولما كان جراى يخاف النار خوفا جما وقد اعد فى حجرته خصيصا سلما من الالياف لينجو من ويلاتها لو ان النيران اصابت البناء حقيقة فى يوم من الايام فانه وقع فى الشباك التى اعدها له زملاؤه على سبيل المرح والفكاهة . وفى صباح اليوم التالى خطا جراى متجها نحو البناء المقابل — بمبروك — ولم يعد الى كليته السابقة مرة اخرى . وفى عام ١٧٦٨ عين استاذا للتاريخ الحديث، وفى الثلاثين من يوليو عام ١٧٧١ توفى فى حجرته الخاصة بالكلية، هذه الحجرة نفسها التى تلقت بت بعد سنتين . ومن اشهر القطع الشعرية التى الفها جراى هى « المرثية المدونة فى ساحة احدى الكنائس » والتى فيها يعبر الشاعر عن تأملاته عن القرويين الذين تثوى بقاياهم «تحت اشجار الدردار الخشنة » هؤلاء الرجال الذين لولا حظهم العاثر وانحدارهم من اصل خامل الذكر لربحوا مجدا واسما لا يقلان عظمة ونبوغا عن اخوانهم السعداء الذين كللت الشهرة جبينهم .



منظر اخذ من الجو لكلية بمبروك .

رب جوهرة نفيسة ذات اشعة صافية
قد ضمتها كهوف اليم المظلمة التى لم يسبر غورها بعد
ورب وردة قد خلقت لكى تعلو وجهها حمرة ولكن ما من عين هناك
لترقب جمالها الذى قدر عليه ان يبدد فى هواء الفلاة .

ومع هذا فلو ان حياة هؤلاء البسطاء قد نقصها بريق الثروة وتألقها وعظمة المراتب العالية و كبرياؤها الا انهم قد عرفوا نوعا من السعادة يعلو على الهرج والمرج الذى يحيط بالشهرة وبعد الصيت .

امانيهم الرزينة لم تتعلم كيف تضل
وهى بعيدة عن نضال الحشد الصاخب
لقد مشوا فى وهد الحياة البهيج
حيث ابقوا على نغم حياة لا ضجة فيها ولا عجيج .

وقد اخرجت كلية بمبروك للكنيسة بعض ابنائها الممتازين، من رؤساء

اساقفة واساقفة واختصاصيين فى علم اللاهوت ووعاظ وكهنة جديين. ومن ابرز هذه الجماعات الدينية ربما كان رئيس الاساقفة ردلى الذى عين رئيسا للكلية عام ١٠٤٠ والذى حكم عليه فى عام ١٥٥٥ فى اكسفورد ان يموت محترقا فراح ضحية للمنازعات الدينية التى قامت بين رجال الدين فى ذلك العهد. ومن بين زعماء الدولة والدين الذين تتصل اسماؤهم باسم بمبروك هو لونسلوت اندروز (Launcelot Andrewes) رئيس الكلية من عام ١٥٨٩ الى عام ١٦٠٥ الذى كان يعد اكبر علامة فى زمنه فى معرفة اللغة العبرانية واللغة اليونانية كما اشتهر بالورع الشديد والتقوى والى اندروز يرجع الفضل فى اجتذاب ماثيو رن (Matthew Wren) الى الكلية وهو يعد اهم شخصية فى تاريخ الكلية فى القرن السابع عشر. ولم يكن رن مديرا نابغا ومحسنا جوادا فحسب بل هو ايضا خال السير كرستوفر رن (Christopher Wren) اشهر المهندسين المعماريين فى تاريخ انجلترا وهو الذى وضع تصميم كنيسة سانت بول وغيرها من كنائس لندن الشهيرة. ومن الظريف الذى يستحق الذكر ان اول بناء وضع تصميمه السير كرستوفر كان المعبد الصغير التابع للكلية. ومع ان هذا البناء يعبر عن بساطة مع صرامة فى تصميمه الا ان فيه تتمثل تلك الرشاقة التى تمتاز بها كل مبانى رن.

وقد كان فى خلال القرن السابع عشر عندما اتم بناء «فناء اللبلاب» (Ivy Court) هذا الجزء من البناء حيث اقام جراى وبت وبراون، اما شجرة اللبلاب التى منها استمد الفناء اسمه فقد ذهبت من سنوات قلائل عندما اكتشف انها تلحق دمارا بحوائط البناء، اما بناء ذلك الفناء ذاته الذى صنع بالطوب الاحمر فما يزال قائما يضم بين جوانبه ذكريات هؤلاء العظاء الذين اقاموا فيه يوما من الايام. وفيما عدا ذلك فان الجزء الاكبر من بقية ابنية الكلية حديث نسبيا، فقاعة الطعام التى بنيت فى القرن الرابع عشر قد هدمت فى عام ١٨٧٥ وحوالى نفس التاريخ هدمت الاجزاء

العتيقة الاخرى . وعلى اى حال فان معظم ابنية الفناء العتيق (Old Court)
لا تزال قائمة كما هى لم يمسها تعاقب القرون .

وفى عام ١٩٤٧ ستحتفل كلية بمبروك بانقضاء ستة قرون على تأسيسها
وفى كل عام يلتحق بها طلاب جدد يزحفون اليها لاتمام دراستهم بين
تقاليدها العتيقة . واليوم كما فى اى وقت مضى من تاريخها تؤدى الكلية
واجبها نحو الله والانسانية على الوجه المرضى . ففى الوزارة الحالية يحتل
ر. ا. بتلر (R. A. Butler) منصب وزير المعارف الهام ووالد بتلر
بعد ان امضى سيرة مشهودة فى الهند يحتل اليوم منصب رئيس الكلية.
ويوجد رجال بمبروك فى كل نواحى الحياة المتشعبة فى كل ركن من اركان
المعمورة، وهم وان اختلفوا وتباينوا فى مواهبهم واميالهم الا ان حبهم
للكلية التى ضمتهم بين جوانبها يجمع بينهم ويؤلف بين قلوبهم، هذه الكلية
التى علمتهم ان يكونوا رجالا كما لقنتهم العلوم والآداب، رجالا تقدموا
الى طرق الحياة ليزيدوها ويزيدوا انفسهم شهرة وعلوا . لتبق بمبروك
ولتخلد الايام ذكراها .

———— ★ ————

الموسيقى فى انجلترا

بقلم ليو ستينبرج

اذا اراد احد ان يعرف ما اذا كان للشعب الانجليزى غرام بالموسيقى فعليه ان يراقب افراده اثناء احدى الحفلات الموسيقية فلن يجد لهم مثيلا فى اى بلد آخر فى الافتتان بالموسيقى والحماس لها وهو حماس ليس طارئا لم يؤسس على تقاليد ثابتة اذ ان جمهور المستمعين الانجليز اصحاب تاريخ طويل ممتاز يرجع الى اوائل القرون الوسطى حينما كان بعض الاشخاص كالاسقف اولدهيلم يعملون على نشر الدين بين مواطنيهم الوثنيين .

وقد كان اولدهيلم هذا يجلس فى ميادين الاسواق القروية او مفارق الطرق وهو يغنى على نغمات قيثارته فكان القرويون واهالى المدن يتركون اعمالهم المختلفة ويتجمعون عند اقدام الموسيقار. وبعد ان يتجمع عدد كبير من الناس كان يضع قيثارته الى جانبه ثم يبدأ مواعظه الدينية . وبذلك قدم لنا مثلا من اقدم الامثلة على غرام الانجليز بالاغانى والموسيقى .

لقد كان ذلك من نحو ١٢٠٠ عام تقريبا . ولما كان نبل الانساب يقاس بقدمها فقد وجب ان يأخذ البريطانيون مكانا ممتازا بين شعوب العالم التى تعشق الموسيقى وعلى الاخص لانهم على خلاف كثير من العائلات النبيلة لم يعمدوا الى الاتجار بمجد آبائهم وشعر كل جيل على مدى ادوار تاريخ الموسيقى البريطانية كما لو كان من واجبه ان يجدد تقاليده الموسيقية التى ورثها عن اسلافه . وكانوا على الدوام اما مؤلفين للموسيقى يعشقون عملهم بكل قلوبهم او مستمعين متعطفين يعملون على



موسيقيو القرن الخامس عشر الانجليز .

دعوة اكبر موسيقيى اوربا الى قاعاتهم الموسيقية كما لو كانت هذه القاعات هى منازلهم الروحية .

ومع ذلك فلا يزال يتردد فى اوربا من قديم الزمن عن انجلترا تهمة عتيقة وهى انها «البلاد التى ليس لها موسيقى» . ومن سوء الحظ ان هـذه التهمة لن تعـد تقبل الجدل المؤسس على البرهان لانها لم تؤسس على العلم او الاقتناع وانما اسست على الميول العاطفية وعلى اللذة الرخيصة فى تجريد الآخرين من مزاياهم. ومن هنا اثار الدكتور جوبلز من مدة ليست بالبعيدة هذه الاكذوبة حينما هدمت غارات قوة سلاح الطيران الملكى دار الاوبرا الالمانية ببرلين . فقد زعم ان عمل سلاح الطيران البريطانى لا يثير الدهشة لانه لم يعرف عن البريطانيين انه كان لهم يوما ما غرام بالموسيقى وقال ان القذائف التى وقعت على دار الاوبرا كانت اولى الدلائل التاريخية على مدى اهتمامهم بالفنون .

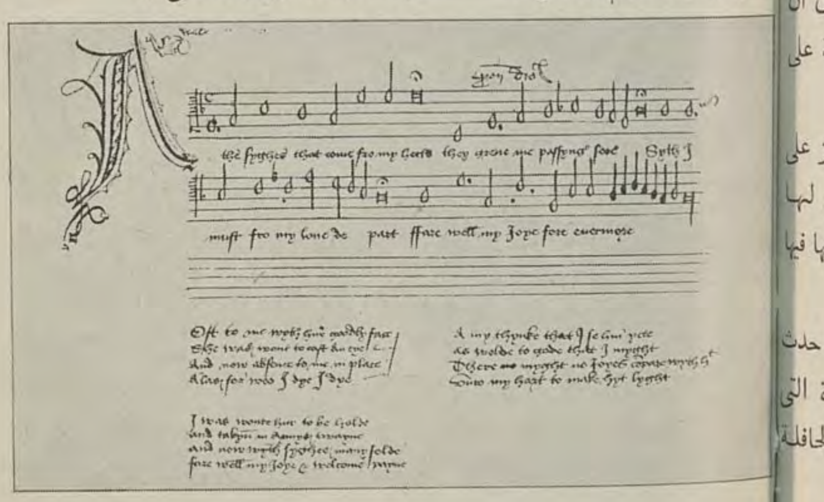
وقد يكون من الممكن فى هذا المجال ان يكون الدكتور جوبلز على جهل بمدى خطئه اذ انه لم توجد على وجه الارض جماعة لم يكن لها موسيقى من اى نوع كانت . ولقد كان حظ انجلترا من الموسيقى ونصيبها فيها عظيما لا يقل عن نصيب اية بلاد اخرى .

ولم يكن اثر انجلترا ظاهرا دائما فى التاليف الموسيقية الخالدة كما حدث فى الفترة العقيمة نوعا بين عامى ١٧٠٠ — ١٨٥٠ وهى الفترة التى ربما كانت السبب فى هذا الاتهام الشائع رغم تعاقب الفترات الحافلة

بالانتاج الموسيقى بعد ذلك . والمانيا مثلا تفاخرت بمصوريها العظام فى القرن السادس عشر ولم يكن لها موسيقيون، ثم انها انجبت كثيرا من المؤلفين الموسيقيين فى القرن الثامن عشر ولم تلد مصورا واحدا ذا اهمية . والواقع ان انتاج الاقلية المتازة لا يمكن ان يعد مقياسا لثقافة المجموع، كما ان التاليف الموسيقية وحدها لا تكفى للتدليل على ميول الجماعة فى الموسيقى وهى الميول التى يحكم عليها بالاحرى بما يشاهد من الاستماع والعرض والاهتمام والدراسة



فى الأعلى: نوتة موسيقية انجليزية يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر . فى الاسفل : اغنية دونت موسيقيا فى عهد الملك هنرى الثامن .



واحترام الموسيقى . وهذه العادات فى مجموعها هى المزايا الدائمة التى ينفرد بها الشعوب التى تشتهر بالموسيقى بكل معنى الكلمة . اما الحالات التى تولد وتنمو فيها العبقرية الموسيقية المبتكرة فهى ليست الا حالات معدودة وتكاد تكون عارضة .

ومع ذلك فان انجلترا لها ايضا نصيبها من النجاح الباهر فى الاكتشافات الموسيقية ففيها اخترعت واكملت آلات المفاتيح الموسيقية وهى الآلات التى لا غنى عنها فى الموسيقى الاوربية . كما ان تداخل الالحان الموسيقية قد تحقق وتطور بفضل جهود جون دانستابل الانجليزى فى اوائل القرن الخامس عشر. وقد ترتب على ذلك اكبر انقلاب فى تاريخ الموسيقى الاوربية . وكان هيو اشتون اول من الف الالحان الموسيقية للآلات على حدتها وكان ذلك فى القرن السادس عشر وهو اول موسيقار ادرك واستفاد من مزايا الآلات الموسيقية وحدها دون ان تصاحبها فى النغمات اصوات الغناء .

ولم يكن كل هذا الا مقدمة بسيطة لعصر الموسيقى الانجليزية الذهبى فى اواخر القرن السادس عشر وهو عصر شيكسبير والملكة اليزابيث كانت الحياة الموسيقية فيه نصيب الشعب اجمعه اذ رافقت الموسيقى كل ساعة من ساعاتهم وكل عمل من اعمالهم، وربما فى هذا ما لا يقل اهمية من آثار كبار المؤلفين الموسيقيين .

ذلك ان الجمهور كان يعشق الموسيقى بكل معنى الكلمة ولم يكن الناس يعتبرون الحفلات الموسيقية كمواعيد استثنائية ولم يكن الافراد يقصدون اجتماعاتها الفخرية ليزهوا بمزاياهم الاجتماعية او الثقافية وانما حلت الانغام والموسيقى قلوب النساء والرجال وملأت شرايينهم . ان محبى الموسيقى الحقيقيين ليسوا ممن يعنون بايجاد جو مصطنع حتى يمكنهم الاستمتاع بالموسيقى بل يعتبرونها كجزء من انفسهم لا يحيون الا فى بيئتها، وكذلك كان يفعل الانجليز تحت حكم ملكتهم العذراء العظيمة الذكاء .

فقد انتشرت الموسيقى فى عهدها فى جميع البلاد وكانت بعض الادوات الموسيقية وعلى الاخص «الباص» تعلق فى غرف الاستقبال لتسلية الزائرين اثناء انتظارهم . وكان كل حلاق يقدم فى محله العود وغيره مثل ما يقدم اليوم المجلات المصورة لتسلية الزبائن المنتظرين . واصبح لكل حرفة اغانيها وموسيقاها التقليدية فكان السمكريون يرددون المواويل وبائعات اللبن تنشدن الاغانى وسائقو العربات يصفرون . بل واكثر من ذلك اصبحت الموسيقى شرطا اساسيا لكل حرفة تقريبا .

وقد طبع فى اواخر القرن السادس عشر كتاب ظريف الفه توماس دلونى عنوانه «السيد بيتشى ورجاله » وفى احد مواضع هذه القصة يحاول البطل واسمه هارى ان يتنكر فى شخصية صانع احذية ولكنه لا يجد الامر هينا . ولم تكن الصعوبة ترجع الى عدم قدرته على صناعة الاحذية وانما نشأت عندما سأله احد زملائه عما اذا كان يستطيع الغناء او دق الطبول او اللعب بالمزمار فاضطر هارى الى الاعتراف بانه لا يستطيع شيئا من ذلك فكاد ان يكشف بذلك امره الا ان احد اصدقائه تدخل فى هذه اللحظة الحرجة واعلن ان سبب عجز هارى فى الموسيقى يرجع الى انه لم يمض عليه وقت طويل فى صناعة الاحذية .

اما فى الطبقات العليا فقد كانت الموسيقى ضرورة لا بد منها . وقد كتب هنرى بيتشام فى كتابه «الجنتلمان الكامل » الذى كان يعد اساس الاخلاق والرسوم الاجتماعية فى الطبقات العليا فى ذلك الوقت يقول انه «لا يستقيم رجل القصر اذا لم يكن موسيقيا » وكل شخص لم يكن موسيقيا كان يتعرض دائما لمواقف يؤسف لها . ومن الأمثلة الطريفة على ذلك ما كتبه توماس مورلى احد كبار الموسيقيين فى عصر الملكة اليزابيث .

فقد كتب مورلى فى عام ١٥٩٧ كتابه المشهور «مقدمة واضحة وسهلة للموسيقى العملية » وهو عبارة عن محادثات بين استاذ وتلميذه ذكر فيها الاستاذ فيما يزيد عن ٢٠٠ صحيفة اساس الموسيقى، وكان التلميذ مع جهله بها حريصا على ان يتعلمها . وقد كان هذا الحرص نتيجة تجربة



سير هنرى وود مع الاوركسترا اثناء التمرن قبل احدى الحفلات الموسيقية الشهيرة بلندن

قاسية حدثت للتلميذ فى الليلة السابقة على الدرس الاول اذ كان طبقا للرواية يتناول العشاء عند احد اصدقائه وهنا يقول عن نفسه انه «اعدت الكتب الموسيقية بعد العشاء طبقا للعادات والتقاليد المرعية وقدمت الى ربة المنزل قطعة موسيقية وطلبت الى بكل اخلاص وبساطة ان اغنى . وعندما اضطررت بعد جملة محاولات للاعتذار الى الاعتراف بانى لا استطيع الغناء ظهرت امارات التعجب على الجميع وتهامس البعض متسائلين كيف كانت نشأتى » .

ولا شك ان ذلك كان يعد، طبقا لمقاييس الحياة فى عصر الملكة اليزابيث، نقصا فى التربية اذ انه كان من النادر فى اى بيت انجليزى الا يعقب الغناء تناول الطعام . وكان من العادة اذا اراد رب الدار ان يقيم وليمة عشاء فى منزله عمد الى اناشيده المفضلة ثم ارسل تذاكر الدعوة ملاحظا الا يقع تنافر فى اصوات مجموع ضيوفه عند الغناء . وقد يكون من المحتمل ان يقول رب الدار لزوجته انه يستحيل دعوة الجار لانه سيحضر زوجته معه

بينما لا يوجد دور «سوبرانو» زائد فى اى من الاغانى التى سيغنيها المدعوون .

ومع ذلك فهؤلاء الاشخاص كانوا لا يجدون متعة ولذة فى اصواتهم وفى اغانيهم البسيطة فقط كما كانت الحال بالنسبة للايطاليين مثلا بل كانوا يشتركون ايضا باهتمام فى كل ما يتعلق باحدث واعقد الدراسات الموسيقية وتطوراتها فى عهدهم . وكان اهتمامهم عمليا وجديا لحرصهم الدائم على التغنى بموسيقى جديدة .

وكان من نتائج هذه الرغبة الشاملة انها اوجدت انتاجا جديدا، فلما كانت الجماعة تتطلع الى موسيقى حديثة عالية ظهر جيل من الفنانين انتجوا موسيقى جديدة جميلة جدا وبذلك كانت انجلترا فى عصر الملكة اليزابيث مهد مجموعة من اعظم الموسيقيين الذين يعد زعيمهم وليم بيرد الذى عاش بين سنة ١٥٣٨ وسنة ١٦٢٦ وهو مع باليسترينا الايطالى اعظم موسيقار انجبته اوربا قبل باخ .

فقد وهب وليم بيرد وجون دولاند العواد الشهير، الموسيقى الاوربية اتجاها جديدا صرفا بالنسبة للشعر والاصوات .

فهما اول من نظم الاغانى ووضعها فى شكل وحدة فنية منظمة .

ومع ان الاغانى قد وجدت قبلهما ولا شك، اذ كان الموسيقيون المتجولون وشعراء الريف خلال القرون الوسطى ينشدون الاغانى، ولكنها لم تكن ذات طريقة منظمة معتمدة للترتيب والتدوين الموسيقى اذ كانت تعتمد على رواية قصة مثيرة او مداعبة سيدة فكانت الالفاظ والكلمات دائما اهم كثيرا من النغمات وكانت تجهز قبل العرض الموسيقى . اما النغمات والالحان فكانت ترتجل فى الحال بشكل يتجاوب ويتفق مع الكلمات وعلى طريقة اقرب الى اغانى الاطفال . وكانت النغمة المنفردة قليلة الاهمية بلا شك .

وكانت هناك كذلك الاغانى الشعبية وبعضها عظيم الشأن . ولكنها كانت تغنى ايضا بطريقة خالية من الفن ولم تكن منظمة كوحدات فنية

كاملة التفاصيل تعد كلا لا يقبل التجزئة . واخيرا فقد كان هناك اغانى الاساتذة المعقدة وكانت عبارة عن مشكلات حسابية موسيقية واوضاع صوتية ليس لها اى اتصال بالكلمات التى توضع لها .

اما فن الغناء كما نعرفه اليوم فهو مختلف جدا اذ يعمد الموسيقار فيه الى قطعة شعرية فيلحنها وازنا لكل نغمة ومراعيا ان تكون لازمة فى محلها وتطابق النغمات الاخرى . واهم من ذلك كله ان الموسيقى والكلمات يجب ان توضع فى حدود علاقاتها بعضها ببعض فيعبر الصوت عن روح النص ومعناه .

وفن الغناء هذا يتصل بالشعر اتصاله بالموسيقى وقد نشأ من الآداب ومن الثروة الشعرية التى اذخرت فى عصر الملكة اليزابيث . ومثل هذا الفن لا ينبت الا فى جماعة لهم ذوق فى الشعر وغرام بالموسيقى وفى بلاد يتعاصر فيها رجلان مثل بيرد وشكسبير ويشعر فيها افراد الجمهور بتقدير للشعر والموسيقى معا .

وقد عبر بيرد بوضوح تام عن تقدير الموسيقار للالفاظ وموقفه منها، تلك الالفاظ التى صاحبت الموسيقى الاوربية منذ نشأتها الاولى فقال «توجد قوة خفية كامنة فى الفكر وراء الكلمات نفسها، وبذلك فكلما ازداد تفكير الانسان فى هذه الالفاظ وتأمله لها بشكل جدى مستمر كلما خطرت له نغماتها المناسبة بصورة ايحائية من تلقاء نفسها » .

وهذه النظرة الانجليزية الحديثة قد شكلت اعمال كل موسيقار اشتغل بتلحين الاصوات على مدى القرون المتعاقبة وقد احدثت هذه النظرية تغييرا عميقا سيظل اثره باقيا ما دامت الموسيقى الاوربية .

الدراسات الشرقية فى لندن

بقلم رئيس التحرير



ختم الجمعية الملكية الاسيوية .

فى الخامس عشر من شهر مارس عام ١٨٢٣ عقد اجتماع فى منزل يقع فى احد احياء لندن الحديثة بقصد النظر فى خطط ترمى الى تأليف هيئة يكون من شأنها تشجيع الدراسات فى اللغات والثقافات الشرقية واحتل رئاسة الاجتماع هنرى توماس كولبروك . وكان هذا الاجتماع العام نتيجة طبيعية لاجتماع خاص عقد قبل ذلك بشهرين وفيه قام كولبروك والسير جون مالكلم والسير جورج ستونتن وغيرهم من الرجال البارزين الذين وهبوا حياتهم للدراسات الشرقية، قاموا بوضع خطط تجريبية تقدموا بها الى هذا الاجتماع العام لمناقشتها وابداء ما يتراءى لهم فى شأنها .

وكان للفكرة ذاتها على اى حال مصدر او اصل فى جمعية البنغال الآسيوية التى انشأها السير وليام جونز فى كلكتا عام ١٧٨٤ وكان كولبروك عضوا عاملا فيها اثناء اقامته بالهند؛ وقد اوقف حياته بكل حماس وتوفيق لدراسة اللغة السنسكريتية ولما وفق اخيرا الى جمع مجموعة كبيرة وقيمة من المخطوطات السنسكريتية صرف فى سبيلها كثيرا من التكاليف من جيبه الخاص لم يضن بها بل اهداها الى شركة الهند الشرقية (مكتبة وزارة الهند الآن) التى رأسها فى ذلك الحين السير تشارلز ولكنز . وكان ولكنز نفسه وهو عالم مشهود له بالكفاءة فى اللغات العربية والفارسية والسنسكريتية احد المتحمسين فى تعضيد مشروع تكوين جمعية اسيوية فى لندن .

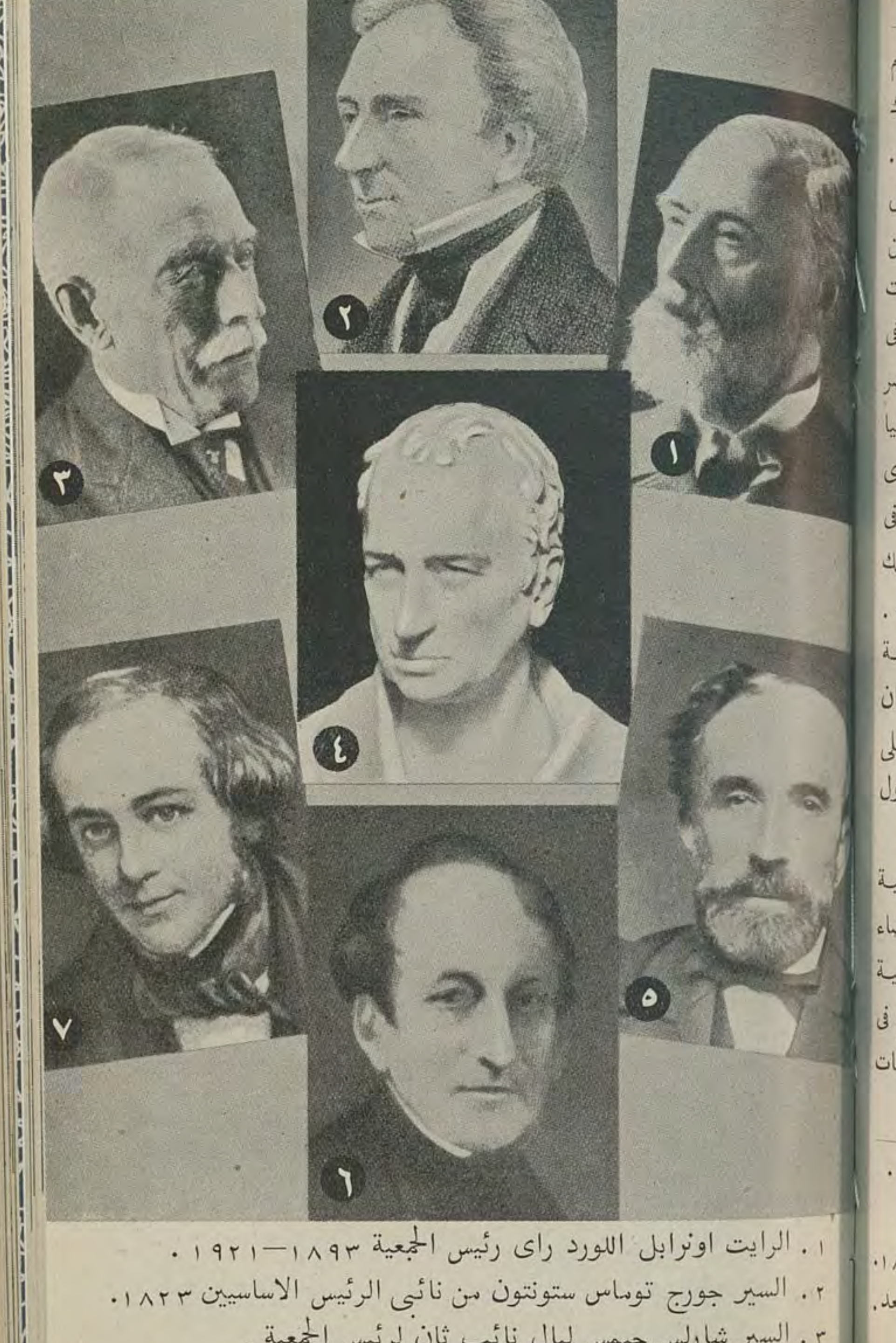
وعرض كولبروك فى خطابه الافتتاحى اهداف تلك الهيئة الجديدة

كما عبر عن اوجه نشاطها فستؤسس الهيئة للبحث والاستقصاء فى العلوم والفنون الآسيوسية ويرجى منها ان تهون وسائل الاصلاح والتحسين هناك كما يرجى العمل على تقدم العلوم والفنون فى بريطانيا نفسها . فآسيا هى اقدم مناطق المعمورة واكثرها ازدحاما بالسكان وسوف يشمل نطاق البحث كل اجزائها وسوف يكون متنوعا كتنوع شعوبها وستتضمن اعمال البحث العهدين القديم والحديث فى التاريخ ونظام الحكومات المدنية والدساتير والعادات والاخلاق واللغات والآداب والعلوم وفى اختصار تقدم العلوم فى آسيا ووسائل اتساعها ونموها . ولا يقتصر اختصاص الهيئة على حدود آسيا الجغرافية بل يمتد فيشمل علاقة آسيا الغربية بالممالك الاجنبية كما حدث عند انتشار الاسلام؛ ولا يصبح اى شئ دار بتفكير الرجال فى تلك المناطق غريبا على استقصاء الهيئة فى تلك الحدود . وصادق الجمع المحتشد على الآراء التى عبرت عنها تلك الافتتاحية المشهودة النبيلة بكل حرارة وحماس وتم نشر الافتتاحية فيما بعد .

وحصلت الجمعية التى اسست على تلك الصورة الرسمية على مصادقة اهم الدوائر السياسية والعلمية فى الحال وقبل ملك بريطانيا نفسه ان يكون ولى امر الجمعية بينما اصبح المركيز ولزلى والماركيز هيستنجز وكيلى ولى الامر وانتخب صاحب الشرف الرفيع تشارلز واتكن ولياسز ون اول رئيس لها كما كان كولبروك مديرها الاول .

ولما كان من بين اهداف الجمعية الاساسية هو نشر الابحاث العلمية فقد ظهر اول مجلد من «تقارير البحث» فى عام ١٨٢٧ ولكن بعد انقضاء سبع سنوات تغير اسم تلك النشرة وصورتها وحلت محلها « صحيفة الجمعية الآسيوية الملكية » وما زالت تظهر فى فترات منظمة حتى اليوم ويقع فى عهدة الهيئة بالاضافة الى ما تقدم اعانات مالية لطبع مجلدات فى دراسات منفصلة .

٤ . هنرى توماس كولبروك مؤسس ومدير الجمعية ١٨٢٣—١٨٣٧ .
٥ . البروفيسور السير مونيار مونيار ويليامز نائب رئيس الجمعية .
٦ . البروفيسور هوراس هيمان ولسون مدير ورئيس الجمعية ١٨٥٥—١٨٥٩ .
٧ . الماجور جنرال السير هنرى رولينسون المدير والذى عين رئيسا فيما بعد .



١ . الرايت اونرابل اللورد راى رئيس الجمعية ١٨٩٣—١٩٢١ .

٢ . السير جورج توماس ستونتون من نائبى الرئيس الاساسيين ١٨٢٣ .

٣ . السير شارلس جيمس ليال نائب ثان لرئيس الجمعية .

ومن بين اوجه نشاطها الاخرى هى مهمة تنظيم محاضرات يلقيها اشهر المختصين فى المواضيع التى يشملها اختصاص الجمعية الواسع وهى تملك مكتبة كبيرة حيث يسرح للاعضاء استعارة ما شاءوا من الكتب وبالاضافة الى العدد الوفير من الكتب المطبوعة فى كل اللغات الآسيوية وآدابها وتاريخها وفنونها الجميلة تملك المكتبة مجموعة عظيمة من المخطوطات الشرقية التى وهبها للمكتبة عدد من الجوادين المحسنين .

ومنذ تأسيس الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وايرلندة فقد جمعت بين اعضائها لا كل مستشرق بريطانى معروف وعددا كبيرا من مستشرقى البلدان الاخرى فحسب بل شملت ايضا كثيرا من السياسيين البارزين ورجال الادارات المختلفة . ويرأس الجمعية الآن السير ريتشارد ونستد الذى كان فيما مضى مديرا للتعليم فى الملايو وهو اكبر علامة فى لغة الملايو قد انجبته بريطانيا واما مدير الجمعية فهو البروفوسور ر. ل. ترنر وهو عالم المعى فى اللغة السنسكريتية ويحتل ايضا منصب مدير مدرسة اللغات الشرقية والافريقية بجامعة لندن .

ومن البديهى ان الدراسات العربية تكون فرعا واحدا من الفروع العديدة فى نواحى نشاط الجمعية مع انه فرع قد تمتع بتعضيد كبير فمن بين هؤلاء البارزين فى الدراسات العربية الذين كانوا اعضاء فى الجمعية فى السنوات الاخيرة نذكر د . س . مارجوليث وكان مديرا للجمعية لعدة سنوات و ا . ج . براون والسير دنسن روس و ا . ا . بفن والسير شارلس ليال . ومن بين اعضائها الحاليين ر . ا . نكلسون و ه . ا . ر . جب و ا . س . تريتون و ه . ج . فارمر وعدد كبير من البريطانيين المشهورين فى الدراسات العربية . هؤلاء الرجال قد عملوا بسداد على صيانة الدراسات العربية فى تاريخ الجمعية الطويل كما نشرت لهم مقالات علمية عديدة فى مجلة الجمعية .

ونذكر من بين مطبوعات الجمعية المنفصلة نسخة مترجمة لمقامات الحريرى وترجمة «لترجمان الاشواق» لابن العربى قام بوضعها ر . ا . نيكلسن وترجمة «لمشكاة الانوار» للغزالى قام بها و . ه . ت . جيردنر



نسخة من «تاريخ العالم» لرشيد الدين ترجع الى عام ١٣٠٦—١٣١٢ وتحتفظ الجمعية الملكية الاسيوية بستين من صحائفها .

وجانب من كتاب «نشوار المحاضرة» لابى على التنوخى قام بتصحيحه وترجمته د . س . مارجوليوث .

و«الادب والفن» بمناسبة بلوغ الجمعية عامها العشرين بعد المائة يسهب فى تقديم تهانيه واحترامه وينتهز هذه المناسبة ليوجه نظر القارىء الى الاعمال الجليلة التى قامت بها ولا تزال تلك الجمعية العتيقة فى معاونة الدراسات الشرقية . واننا بينما نتمنى للجمعية مجدا لا يزال اكثر ازدهارا وعلوا وانتاجا اكثر ثمرا فاننا نود ان نذكر ان نجاح هذه الجمعية ككل الجمعيات التى تعتمد على تعضيد الافراد لا يمكن ان يحقق الا اذا تدفق اليها سيل من الاعضاء المحسنين الجوادين واولياء لها على استعداد لان يعبروا عن عطفهم وغيرتهم على الدراسات الشرقية بطريقة عملية . واننا لنأمل ان يظل عدد اعضاء الجمعية فى نمو متزايد وعلى الاخص فى الممالك الشرقية وانه عن طريق العضوية المشتركة والتعاون قد يتسنى للمستشرقين فى كل البلدان ان يجعلوا اثرهم ونفوذهم محسوسا فى ضمان التفاهم العالمى والسلام الدائم .

آلتى الكاتبة

بقلم ت . ه . ماينارد

كنت فى يوم من الايام جالسا بين يدى آلتى الكاتبة اتحدث الى محرر «الادب والفن» فطلب الى ان اكتب مقالا اقدم به الى قرائه لمحة عن تاريخ الآلة الكاتبة الحديثة واتعقب تطوراتها على ان اشير اشارة خاصة الى ما له من علاقات باللغات الشرقية .

ومع انى استعمل الآلة الكاتبة من نحو ٢٠ عاما واشعر بنقص كبير فى حالة غياب آلتى الكاتبة التى احملها معى فى تنقلاتى فانى لم اشعر بقيمتها الحقيقية الا عند كتابة هذا المقال . وانى اشعر تماما ان قراء «الادب والفن» سيسرهم كثيرا ان يلموا بتاريخها .

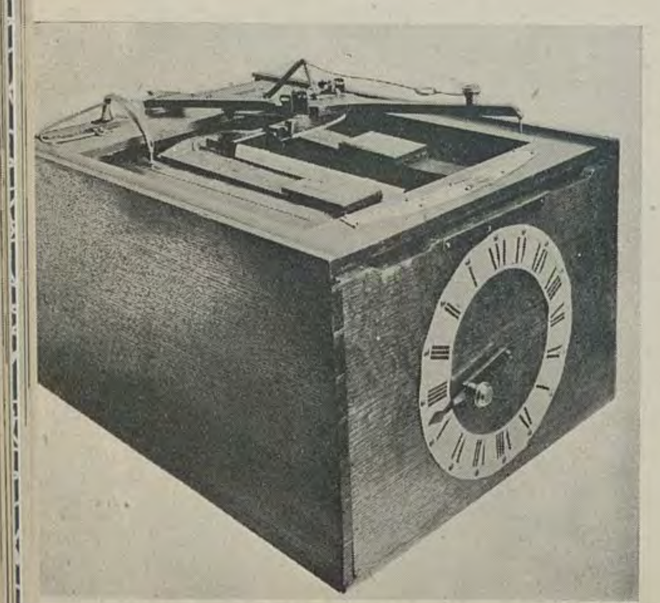
والكتابة على الآلة الكاتبة هى خطوة وسطى بين الكتابة باليد وفن صف الحروف والطبع . وقد قصد بالكثير من الآلات الكاتبة التى اخترعت فى البداية مساعدة الذين اصيبوا بفقد البصر على الكتابة والقراءة ومن هنا كانت السرعة بطبيعة الحال عاملا لا اهمية له . ولم تبدأ اهمية الآلة الكاتبة وتقدير الناس لقيمتها الا بعد ان اصبحت اسرع فى الكتابة من القلم .

وقد بدأ تاريخ الآلة الكاتبة باختراع بريطانى سجل تحت رقم ٣٩٥ فى عام ١٧١٤ وهو باسم مهندس انجليزى كان اسمه هنرى ميل وقد وصفت بانها «آلة صناعية او طريقة لطبع الحروف او كتابتها اما مفردة او بتعاقب الحروف الواحد تلو الآخر كما يحدث فى الكتابة وبذلك يمكن تدوين اية كتابة على الورق او الجلد بطريقة انيقة ودقيقة لا يمكن التفريق بينها وبين الطباعة » . ولسوء الحظ لم يبق الآن ما يدل على تفاصيل هذا الاختراع او على ان ميل قد ثابر على تحسين فكرته والتقدم بها .

على انه منذ ذلك الوقت استمر التقدم بطيئا اذ اننا نجد ان بعض الآلات الكاتبة قد اخترعت ولكن اكثرها قد قصد به مساعدة العميان على الكتابة . وكان اهم اختراع يصح ان يطلق عليه وصف الماكينة هو اختراع بليجرينو تورى من اهالى كاستيل نوفو الذى اخترع فى عام ١٨٠٨ ماكينة لاستعمال سيدة عمياء الكونتيس كارولينا فانتونى دافيفيزونو.

واستمر الانسان فى اجهاد عبقريته حتى اخترع وليم اوستين بيرت من اهالى ديترويت فى عام ١٨٢٩ ماكينة عرفت باسم «تيبوجرافر» وكان تسجيل هذا الاختراع اول تسجيل فى الولايات المتحدة للآلة الكاتبة . واعقب بيرت مباشرة طباع فرنسى اسمه كزافير بروجين من مرسيليا فاخترع آلة وسجلها فى عام ١٨٣٨ وكانت خطوة هامة، اذ كانت اول ماكينة من النوع الذى تتم الطباعة فيه بالضغط الى الاسفل . وقد ادعى انها تكتب «بمثل سرعة القلم تقريبا» . وحدث فى اثناء ذلك ان محاميا ايطاليا اسمه جوزيبى رافيتسا اتى باختراع جديد هام فى طرق التحبير . وقد حاول رافيتسا عدة طرق فى التحبير مثل الشريط الحريرى والاسطوانات المحبرة التى تحتك بها احرف الطباعة ولكنه عاد فى النهاية الى طريقة الشريط المحبر ويمكن ان يعتبر بذلك مخترع هذه الطريقة . وهناك اصل هام وهو ان رافيتسا اعد لوحة الحروف لاعلى حسب ترتيب الحروف الهجائية ولكن بترتيب غالبية تكرار استعمالها . وسنتعرض لهذا بالتفصيل فيما بعد.

وفى عام ١٨٤٥ نجد ان تشارلس ثيربر



آلة نسخ بيرت عام ١٨٢٩ .



آلة كتابة شولز وجليدين عام ١٨٧٥ .

من اهالى امريكا قد سجل اختراع آلة كاتبة من مزاياها مراعاة الفواصل بين حروف الكلمات . ولم تكن هذه الماكينة معدة للاستعمال التجارى بل قصد بها مساعدة العميان . ولكن ذلك لم يضعف من اهميتها اذ ان مراعاة الفواصل عامل عظيم الاهمية ونفعه فى الماكينات الحديثة كبير وعلى الاخص بالنسبة للغات الشرقية كما سيتبين بوضوح كلما تقدمنا فى دراسة تاريخ الآلة الكاتبة .

وكان جون برات هو اول من اخترع الآلات الكاتبة ذات العجل وذلك فى عام ١٨٦٦ وقد سميت «بتيروتايب» (الطباعة المجنحة) . ولم يلبث بعد ظهور هذه الماكينة ان ظهر اثر المجهود المشترك الذى قام به كريستوفر لاثام شولز وكارلوس جليدين وصمويل صولى وجيمس دينسمور وكثير من الميكانيكيين البارعين الذين عملوا معهم فى ميلووكى . وهذه النتائج قد تقدمت كثيرا عما سبقها وهى تعد اول خطة هامة فى سبيل تطور ماكينة الكتابة العصرية لان هولاء الرجال قد اشتغلوا بجد ومثابرة وحاولوا تجارب متعددة وفحصوا ودققوا ووافقوا ورفضوا حتى كان عام ١٨٧٢ فاخترعوا نوعا من هذه الماكينات يصلح للعرض فى الاسواق التجارية .

واذا تركنا شولز وجليدين ودينسمور فى تجاربهم فاننا نجد من جهة اخرى ان احد القساوسة وهو ر . ج . مالينج هانسن من اهالى كوبنهافن اخترع آلة فى عام ١٨٧٠ تعد اول ماكينة من نوعها عرضت

للبيع للجمهور. كما ان المخترع العظيم توماس اديسون اخترع بعد عامين من ذلك التاريخ ما يكون اساس ماكينة الكتابة المعروفة باسم "Stock-ticker".

فاذا عدنا الآن الى شولز وجليدين ودينسمور فاننا نجد انهم فى شهر فبراير سنة ١٨٧٣ تقدموا بماكينتهم الى ا. ريمينجتون واولاده اصحاب مصانع الاسلحة الصغيرة المعروفين. ولولا — لحسن حظهم — ان اثنين من رجال ريمينجتون قابلاهم بالموافقة والحماسة لكان مصير هذه الماكينة فى اكوام المهملات. ولم يلبث بعد ذلك ان بدأ انتاج هذه الماكينة واخرجت مصانع ريمينجتون اول نموذج لها فى عام ١٨٧٤ عرف باسم ريمينجتون رقم ١.

ويجب ان نذكر ان كلا من شولز وجليدين كانا من المشتغلين بصف الحروف فى الطباعة وبذلك لم يهتموا كثيرا بترتيب الحروف على اللوحة على حسب ترتيب الحروف الهجائية. وحدث فى اثناء التجارب التى قاما بها ان لاحظا تصادم اعمدة الحروف واشتباكها فى اوقات متقاربة فخطر لهما ترتيب لوحة الحروف على طريقة اساسها وضع الحروف التى يتكرر استعمالها متعاقبة، فى امكنة متباعدة من اللوحة. وطلب دينسمور الى صهره، وكان ملاحظا لاحدى المدارس، ان يضع له قائمة للحروف التى يغلب استعمالها متعاقبة فى الكتابة باللغة الانجليزية

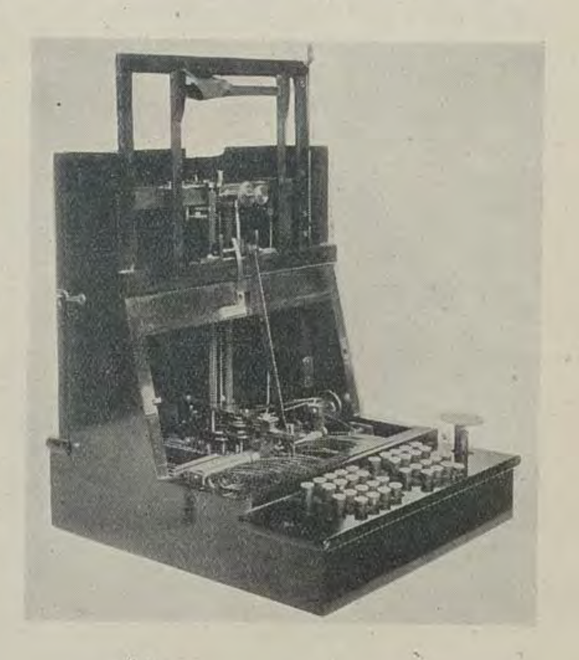


آلة كتابة رمينجتون نموذج رقم ٢ عام ١٨٧٨.

واتخذوا هذه القائمة اساسا لترتيب الحروف على لوحتهم النهائية وهى اللوحة التى تستعمل الآن فى جميع الماكينات تقريبا .

والواقع انه ليس هناك من ابتكار كثير فى الماكينة التى اخترعها شولز وجليدين ولكن اهم الظواهر والتقدمات فيها انهما قد استمرا فى تجاربهما حتى تم اختراع لوحة الحروف المعروفة الآن فى العالم كله التى كان من نتائجها تحقيق السرعة فى الكتابة دون ان تتصادم اعمدة الحروف او تتشابك وهذا هو سر نجاحها والاساس الذى ساعد فعلا على انتاج ماكينات الكتابة العملية وصناعتها .

وبعد ان تم اختراع آلة ريمينجتون رقم ١ بدأت المنافسات الشديدة التى ترتبت عليها تقدمات سريعة . وظهرت جملة مبادىء فى صناعة هذه الماكينات انتصر لكل منها منتصرون . وكان الكثير من الآلات الجزئية فى الماكينة محل جدل ودراسة حادين . وقد حدث ذلك مثلا بالنسبة لنظرية الشريط المحبر ومقارنتها بالتحبير المباشر. فبينما الاولى قد اصبحت عالمية فان من المعترف به ان الثانية تعد اكثر وضوحا فى الطباعة . ثم اشتد الجدل بالنسبة لمفتاح التعلية الذى يغير الحروف العادية الى الحروف الكبرى التى تستعمل



آلة كاتبة «بتيروتايب» عام ١٨٨٦ .



آلة كاتبة «اندروود» نموذج رقم ١ عام ١٨٩٧.

فى بداية الجملة او فى اول الكلمة، ثم بالنسبة للاسطوانة اى فى افضلية ان تكون الاسطوانة هى التى تتحرك ام مفاتيح الحروف، وفيما يختص باستعمال لوحة المفاتيح الواحدة او المزدوجة. وبانتشار لوحة المفاتيح العالمية وطريقة الكتابة باللمس التى ترتب عليها ان يستمر الكاتب على الآلة الكاتبة فى عمله دون ان ينظر الى لوحة الحروف اصبحت اللوحة المزدوجة عديمة النفع . ثم كان من المسائل التى لم يفصل فيها هى اهمية تفاوت المسافة بين الحروف . وتفاوت المسافة له اهمية خاصة اذ انه يعطى لما يكتب على الآلة الكاتبة نفس الشكل كما لو كانت الكلمات قد طبعت بآلة الطباعة فلا يكون نفس المسافة للحروف الرومانية التى تتفاوت فى الحجم، فمثلا حرف (i) وحرف (l) لا يحتاجان الى نفس المسافة التى يحتاج اليها حرف (w) . على ان عامل المسافة هذا قد اغفل فى اغلب الماكينات الحديثة اذ اعطيت نفس المسافة لجميع الحروف صغيرها وكبيرها . وقد انتصر كثير من المخترعين البريطانيين بحماس لاهمية تفاوت المسافة ولكن زملاءهم فى الولايات المتحدة قد اسقطوها من اعتبارهم كمسألة لا اهمية



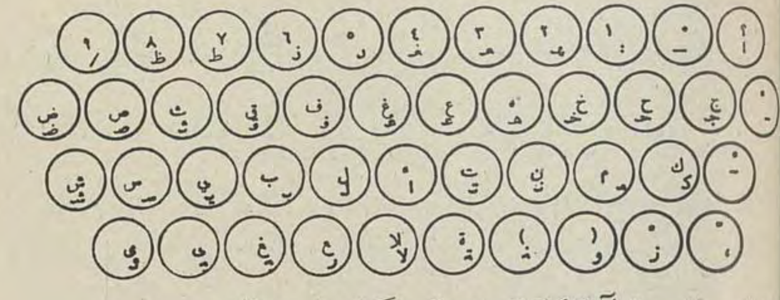
آلـة كاتبـة «رمينجتون» رقم ١٠ الشهيرة عام ١٩٠٧ .

لها اصلا . وسيتبين لنا عند الكلام على اللغات الشرقية انه كان من المصلحة ان ينتصر الانجليز لأفضلية تفاوت المسافة لان ذلك يعد من العوامل الرئيسية الهامة بالنسبة للغات الشرقية .

وقد تمت بعد ذلك صناعة كثير من انواع الآلات الكاتبة بعد ان ادخلت عليها بعض تحسينات ثم جاءت سنة ١٨٩٣ فظهرت ماكينة صغيرة تعد بحق اول الماكينات الكاتبة التى يمكن حملها بسهولة وقد عرفت باسم مخترعها «بليكينسديرفر» . وفى سنة ١٨٩٦ اخترع و. ب. كيدير بالاشتراك مع الاونروابل س. س. كولبى اول ماكينة لا تحدث صوتا وتولدت من اساسها الماكينة الحالية التى لا تحدث صوتا . وفى عام ١٨٩٦ انتجت مصانع ريمينجتون اول شريط حريرى للآلة الكاتبة يقدم ويعقب اوتوماتيكيا .

وفى العام التالى ظهرت ماكينة الكتابة «اندروود رقم ١» وهى تعد طليعة ماكينات الكتابة التى يمكن رؤية ما تطبعه كاملا اثناء عملية الكتابة .

ويجب ان نشير الى ان طريقة دق اعمدة الحروف على الاسطوانة قد مرت بتجارب عديدة وتعرضت لاخطاء كثيرة وهى فى سبيل تطورها الى شكلها



الفاتيح العربية لآلة كاتبة حديثة ماركة «امبيريال» .

الفاتيح العبرية لآلة كاتبة حديثة ماركة «امبيريال» .

حروف آلة كاتبة ماركة «امبيريال» بالسنهالية .

| – ภ ถ ุ ึ ค ต จ ข ช
ไ ำ พ ะ ั ี ร น ย บ ล
ฟ ห ก ด เ ้ ่ า ส ว ง
ผ ป แ อ ิ ื ท ม ใ ฝ

๑ ๒ ๓ ๔ ู ฿ ๕ ๖ ๗ ๘ ๙
๐ ฎ ฑ ธ ํ ๊ ณ ฯ ญ ฐ ,
ฤ ฆ ฏ โ ฌ ็ ๋ ษ ศ ซ .
( ) ฉ ฮ . ์ ๆ ฒ ฬ ฦ

حروف آلة كاتبة ماركة «امبيريال» باللغة السيامية .

الحاضر . وقد اطلق على تصميم نوع منها اسم «القطاع المتارجح» وفيه ركبت الحروف على شكل قطاع دائرى وتتم الطباعة بان يدور القطاع حتى يواجه الحرف المراد طبعه مكانه فى الورقة . واتى بعد ذلك تصميم آخر عرف باسم «العجلة الطابعة» التى تولد منها التصميم الذى اطلق عليه «الكم الطابع» . وتبع ذلك التصميمان اللذان عرفا باسمى «الخافض الداق على نصف القطر» و«العمود الداق على نصف القطر» وقد استعمل التصميان فى كثير من الآلات الحديثة من النوع الذى لا يحدث صوتا . وقد تعددت كذلك تصميمات من طريقة «الفهرست» .

وقد مرت الماكينات التى تستعمل الاعمدة الداقة بجملة ادوار مختلفة كان من اشهرها النوع المعروف بتصميم « الدقات العليا » وفيها يدق العامود على الورقة تحت الاسطوانة ولا يمكن رؤية الكتابة حتى ترفع هذه الاسطوانة . كما انه كان هناك تصميم يعرف باسم «الدقات السفلى من الامام » وآخر يعرف باسم «الدقات السفلى من الخلف » او «الجنب »، واخيرا تصميم «ضربات الجراد » وتصميم «الضربات النصف امامية » الذى استعمل منذ سنة ١٨٨٣ وكان له نجاح كبير فى الماكينات المحمولة .

ومع مرور الزمن دخلت جملة تحسينات على ماكينة الكتابة وهذه التحسينات ادرجت فى الآلة الحديثة كلما ثبتت صبغتها العملية . وفى عام ١٩١٦ ظهرت «ماكينة الكتابة الوطنية» التى يمكن حملها بسهولة وهى من



آلة كاتبة ماركة «رمينجتون » التى لا يسمع لها صوت . وقد رفع الغطاء الاعلى لأظهار داخلها .



آلة كاتبة يمكن حملها ماركة امبيريال «جود كومبانيون» .

اولى الماكينات المحمولة الحديثة . ولكن ريمينجتون عرض على السوق فى عام ١٩٢٠ ماكينة محمولة ذات اللوحة العادية بالصفوف الاربعة يرفعها مفتاح واحد . ومع الزمن اثمر التطور تدريجيا ثمرته الكاملة حينما عمم نوع واحد من التصميم . وبذلك يمكننا اليوم ان نشترى بما قد يعتبر مبلغا ضئيلا من النقود قطعة فنية اقتضى عملها تجارب وخبرة وبحثا لمدة ٧٠ عاما . وبلغ تطور الماكينة الكاتبة حدا من الدقة صيرت الماكينة التى لا تحدث صوتا شيئا معتادا بل ان هناك فوق ذلك ماكينات اخرى تدار بالكهرباء فتوفر بذلك على كاتبها العناء والتعب وهى فى الوقت نفسه تحقق مستوى عاليا جدا من السرعة .

وكان من الطبيعى مع تقدم حركة الاعمال والتجارة ان يدرك العالم الشرقى مزايا الآلة الكاتبة بالنسبة للقلم ولذلك استنفد كثير من الوقت والبحث فى سبيل اختراع آلة كاتبة تستطيع ان تجمع جمال ووقار واصول الخطوط الشرقية القديمة . وقد مرت هذه التجارب التى استغرقت السنين الطوال بسقطات حتى امكن تحقيق النجاح وادراكه . ومن ذلك انه كان لا بد ان تعكس حركة الماكينة كما ان عامل المسافة وضبط الحروف المختلفة للكلمة فى مواضعها الاولى والوسطى والنهائية لم يكن بمشكلة بسيطة الحل .

وقد سبق ان تعرضنا فيما قبل فى هذا المقال لعامل المسافة بالنسبة للحروف اللاتينية . اما بالنسبة للغة العربية واللغات الشرقية فان عامل المسافة له اهمية اولى ولا يمكن اغفاله . ذلك لان حرف (ا) او (ه) لا يمكن بطبيعة الحال ان يشغل نفس المسافة التى يشغلها حرف (ص) او (ط) من غير ان تبدو الكتابة غير منسقة وينقصها الجمال التقليدى لخط اليد .

وعندما تدرس الامثلة المتنوعة المعروضة هنا فسوف يتضح للقارىء ان هذه الماكينات هى الامثلة العليا للمهارة والعبقرية وان الثناء مهما عظم يجب ان يكون من نصيب اولئك الصناع الذين وضعوا تصميمات هذه الماكينات وصنعوها . ففى النماذج الاولى كانت النقط المميزة بين الحروف المتشاكلة لا بد من كتابتها منفصلة مما كان يعطل سير الكاتب على الآلة وينقص سرعته ويعرضه للكثير من الصعوبات . ولكن هذه النقط قد ادمجت الآن مع الحروف وبسطت جميع الحروف الابجدية ولوحتها .

وان الشركة الامبراطورية للماكينات الكاتبة وهى التى تفضلت فسمحت لنا بان ننشر نماذج من اللغات السيامية والسنهالية والعربية والعبرية مطبوعة بآلاتها قد درست جميع اللغات الشرقية بعناية بل ودعت الخبراء من مختلف البلاد لزيارة مصانعها والاقامة بانجلترا مدة طويلة من الزمن لمساعدة خبرائهم والعمل على التقدم الدقيق بالحروف .

فعلينا اذن كلما جلسنا امام الآلة الكاتبة ان نذكر الى اى حد كبير تمثل هذه الماكينة عبقرية معقدة مع بساطة واضحة فى الوقت نفسه . وعلينا اذا امكن ان نذكر الادوار المختلفة المتعاقبة التى مرت بها صناعة هذه الماكينة قبل ان تبلغ شكلها الحاضر . ويجب علينا ان نذكر بالثناء قدرة وعبقرية وذكاء وصبر وعظم عمل الكثير من المئات من اصحاب العقول التى ساهمت خلال ٧٠ عاما فى تطور آلة الكتابة الحاضرة والتى تجمعت كلها لتقدم للعالم وسيلة للتعبير لا تقدر قيمتها ولا يمكن ان تعوض .

*



للتبادل الأدبى

مختارات من الشعر المعاصر العربى والانكليزى

نعتزم ان ننشر من وقت لآخر مختارات من الشعر المعاصر العربى والانكليزى مصحوبة بترجمتها بالانكليزية والعربية. ويسرنا ان ندعو قراءنا من ابناء العروبة لمعاونتنا فى هذا الشأن بارسال ترجمة عربية للشعر الانجليزى المعاصر.

★ ★ ★

المرأة والخداع

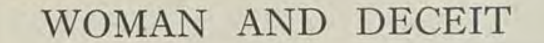
خل الملام فليس يثنيها — حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها وطلاء زينتها — ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيما تكيد به — من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها — من طول ذل بات يشقيها
أنت الملوم اذا أردت لها — ما لم يرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها ابداً — تخلص الى أغلى غواليها

★ ★ ★

القمر والظلام

لا أوثر القمراء فى حسنها
على الدجى والطرف فيه يحوم
سناك يا بدر يرينى الثرى
وظلمة الليل ترينى النجوم

عباس محمود العقاد : اعاصير مغرب ص ١٣٥،٥٧



WOMAN AND DECEIT

Spare thy breath; do not reprove her;
Never will reproaches move her.
If she cheats thee, do not grieve:
'Tis her nature to deceive—
Cheating is her beauty's cover,
So she disciplines her lover;
'Tis her guileful armoury
'Gainst both friend and enemy;
'Tis the vengeance of the frail,
When no other means avail
To deliver from her long
Mean subjection to the strong.
Rather is't reproach for thee,
Who hast willed that she should be
Other than the will divine
Fashioned her to Fate's design.
Then betray her, nor endeavour
To be faithful to her ever:
So thou'lt win, for being wise,
All she doth most dearly prize!

ABBAS MAHMUD AL-AQQAD.

A.J.A.

MOON AND SHADOW

Fair moonlight to my heart is not more dear
Than when mine eyes into the darkness peer:
Thy glow, bright orb, lights up the earth
for me,
But in night's shadows all the stars I see.

ABBAS MAHMUD AL-AQQAD.

A.J.A.

أوراق الحرية

لم يسبق لبريطانيا قبل اليوم ان ضمت بين ربوعها مثل هذا العدد من الاجانب الذين يعيشون فوق ارضها فبينما كان الاجانب فيها قبل الحرب يبلغون الآلاف عدا فاذا بهم اليوم يعدون بعشرات ومئات الالوف.

فالفرنسيون والبولنديون والتشيك والهولنديون والترويجيون والبلجيكيون واليوغوسلافيون واليونانيون وكثير منهم فى ازياء قوات بلادهم العسكرية الحرة يذرعون الشوارع وكثير منهم يعرف قليلا من اللغة الانجليزية او لا يعرفها على الاطلاق وهم يتحرقون رغبة فى معرفة اخبار الحرب والتعليقات عليها ومطالعتها فى لغاتهم الاصلية ومشاهدة صحف مألوفة لهم فى المظهر وطريقة الكتابة تتخصص لاخبار وآراء واتجاهات بلادهم .

ولم يكن ذلك بالامر الهين . ومع ذلك فلم يمض الا قليل حتى عمت الصحف المحررة بلغات اجنبية وكان ظهور تلك الصحف فى محلات بيع الجرائد من ابدع مظاهر وجود الاجانب ببريطانيا فكان ظهورها ترحيبا لهؤلاء الزائرين الذين اعدت لهم الاندية والمراكز الاجتماعية والنزل والمطاعم وغيرها من انواع التسهيلات التى اعدت لهم حتى يشعروا كما لو كانوا فى بلادهم ولو انهم فوق ارض اجنبية .

فلم يمض بضعة اشهر على هزيمة فرنسا فى عام ١٩٤٠ حتى ظهرت الصحف والمجلات المعدة لسبع جنسيات هى الفرنسية والهولندية والتشيكية والبولندية والنرويجية والبلجيكية والالمانية من بينها ثلاث صحف يومية فرنسية والمانية وبولندية والباقية مجلات اسبوعية . ويقوم على ادارة وتحرير بعضها افراد ويستولى بعضها الآخر على اعانات مالية من حكوماتها الحرة ولكنها جميعا تجمعها فكرة واحدة وهدف واحد وسياسة



ورة لمجموعة بعض الجرائد الحرة التى تطبع اليوم ببريطانيا .

كل منها التعاون الكامل مع بريطانيا وكراهية النازية وحكم عصاباتها والعزم على القتال حتى يقضى على خطرها .

ولعل من اهمها الجريدة اليومية فرنسا "France" وهى محررة فى اربع صفحات ومظهرها ومحتوياتها صحفية بكل معنى الكلمة ويحررها صحفيون فرنسيون وبعض من سبق لهم العمل فى صحف باريس وهى تصدر فى مطبعة عصرية وانتشارها واسع ويمكن شراؤها من جميع باعة الجرائد فى جميع انحاء بريطانيا . وقد زاد مع الزمن عدد الصحف الفرنسية الحرة فاصبح منها اليوم ما يصدر كل شهر وعددها اربع مجلات وما يصدر كل اسبوعين كما ان منها ما يصدر فى مواعيد محددة .

ومن اهم الصحف الاجنبية الحديثة الصحيفة الالمانية دى زايتونج "Die Zeitung" التى يطالعها الآلاف من لاجئى الالمان والنمساويين الذين التجأوا الى بريطانيا فرارا من بربرية النازى . ومحررها صحفى المانى معروف يساعده جماعة من خصوم النازى من الصحفيين والكتاب الالمان. وجريدة "Die Zeitung" هذه مستقلة عن الاحزاب وهى تحاول ان تعبر عن آراء الجميع فيما عدا النازى بطبيعة الحال وسياستها مبنية على التعاون الكامل مع بريطانيا ضد مستعبدى المانيا . ويمكن تلخيص سياستها فى كلمة لها نشرتها فى اول مقالة افتتاحية لها : «فلنذكر دائما ان المانيا كانت اول بلد غزاه هتلر» .

وقد كسبت الصحيفة الهولندية "Vrij Nederland" ومعناه هولندا الحرة سمعة طيبة كجريدة اخبارية تحتوى على احدث الوقائع والاخبار . وهى تختص فى اخبار هولندا المختلفة التى تصلها بطرق سرية يتعرض القائمون بها لخطر الموت، وهى اخبار تنبىء عن سلوك النازيين والمقاومة الباسلة التى يقوم بها شعب هولندا المحتلة.

والهولنديون على خلاف جيرانهم الالمان معروفون بروح المرح والدعابة وهم يعرفون ان باستطاعتهم مضايقة المحتل وازعاجه باغراقه فى سيل من الفكاهات والنوادر. وقد جاء فى احد اعداد هذه الجريدة كيف

حاول الالمان ان يمنعوا الهولنديين من الخروج من المقاهى العامة عند دخول الجنود الالمان . فاصدر القومندان الالمانى بغباوة امره بان لا يغادر احد مقهى عاما الا بعد استقرار الجنود الالمان فى اماكنهم بخمس عشرة دقيقة . فكانت النتيجة انه كلما دخل احد من الالمان مقهى عاما بادر الجالسون الى اخراج ساعاتهم ووضعها على الموائد حتى تمر خمس عشرة دقيقة فيخلوا المقهى بعدها تماما .

وجريدة "Vrij Nederland" جريدة مبتكرة وهى تشمل الاخبار العامة والآراء المختلفة ودراسات وتقارير خاصة من الهند الهولندية وجنوب افريقيا وامريكا كما تحتوى على فكاهات واقاصيص للاطفال والجنود . وقد طبعت فى اول ظهورها ...... ٢ نسخة وهى منتشرة فى جميع انحاء العالم وتقوم بموافاة الرأى العالم الهولندى بمختلف الانباء والحوادث كما انها اولى الصحف الهولندية واهمها . وهناك غيرها صحيفتان هولنديتان هما الصحيفة الاسبوعية «صوت هولندا» واخرى خاصة بالجنود اسمها "De Bromtol" .

اما البولنديون وهم يكونون فرقة من اقوى الفرق الاجنبية فى بريطانيا فقد اسسوا بعد وصولهم ببضعة شهور عدة صحف احداها يومية اسمها "Dziennik Polski" وقد انتشر اعدادها بين البولنديين المتجمعين فى مختلف الانحاء وكانت اولى جرائدهم فى الواقع ، وهى من صحيفتين كتبتا على آلة كاتبة وطبعتا على الرونيو، تم اعدادها بمعسكر من اكبر المعسكرات فى بريطانيا . اما الآن فقد اصدر البولنديون وهم معروفون بالنشاط والابتكار عددا كبيرا جدا من الصحف والنشرات التى تعبر عن جميع الآراء . ولا شك ان جميع انصار الحرية يتملكهم الرعب عند مطالعة انباء الفظائع التى يرتكبها النازى فى بولندا بينما يستطيع البولنديون من اخوانهم المقاتلين ان يرفعوا صوت الحرية فى ارض اجنبية فتحت لهم بابها على مصراعيه ومدتهم بالراحة والهدوء فى ساعة المحنة .

وللتشيك صحيفة اسمها "Nase Noviny" معدة على الآلة الكاتبة وتصدرها

قواتهم المحاربة ومحررها الآن هو برتبة جاويش . ولهم كذلك مجلة "Czechoslovak" الاسبوعية المنتشرة فى الخارج انتشارها فى بريطانيا. ولا شك انه مما يسر البريطانيين مضيفى التشيك ان يطالعوا قائمة الصحف التى تصدر باللغة التشيكوسلوفاكية فى بريطانيا فيجدوا ان آراء ضيوفهم وآدابهم وسياستهم يعبر عنها فى هذه البلاد الآن كما كان يعبر عنها فى بلادهم انفسهم .

ويصدر البلجيكيون الذين يبلغ عددهم فى هذه البلاد نحو العشرين الفا صحيفتين اسبوعيتين احداهما لمن يتكلمون لغة الفلمنك اسمها "Onafhankelijk Belgie" والاخرى لمن يتكلمون الفرنسية اسمها "La Belgique Indépendente" وكلتاهما تحتوى على معلومات مفيدة ودقيقة عما يقع الآن من الحوادث فى بلجيكا كما ان كلتاهما تتضمن مقالا رئيسيا باللغة الانجليزية ويقوم على تحرير هاتين الصحيفتين صحفيان بلجيكيان كبيران . ويصدر البلجيكيون كذلك ثلاث صحف اخرى باللغة الفلمنكية وكذلك مجلة "Marine" الشهرية التى تصدر باللغة الفلمنكية والفرنسية معا .

ويصدر اللاجئون من اهالى النمسا صحفهم الخاصة بالانجليزية والالمانية معا وهم على خلاف ما يحدث الآن فى بلادهم يتمتعون بحرية الاعراب عن آرائهم المختلفة وهى حرية كاملة لا يشوبها خوف الاضطهاد او الموت الذى ربما احاق بهم .

وللدانيماركيين الاحرار صحيفتان رسميتان احداهما باللغة الانجليزية والاخرى بلغتهم الدانيماركية . كما يصدر اليونانيون البواسل صحيفتهم "Hellas" الاسبوعية. واليوغوسلافيون ممثلون اتم تمثيل فى جالية حرة تقيم الآن فى بريطانيا وهم يصدرون جريدتهم التى تتحدث عنهم واسمها "Sluzhene Nowine" واعد النرويجيون الذين نطالع باستمرار اخبار مقاومتهم الرائعة للمغتصبين فى بلادهم هيئة صحفية منظمة تصدر صحيفتهم اليومية الحرة "Norsk Tidend" كما تصدر مجلة اخرى كذلك.

واليوم يعد من المناظر المألوفة والمقبولة رؤية سيل من هذه الصحف الحرة المختلفة الجنسية معروضة فى المكاتب وعند الباعة او مشاهدة ثلاث او اربع جنسيات مختلفة ممثلة فى جنسيات القارئين الذين يطالعون صحفهم اثناء رحلة فى الاومنيبوس او المترو او قطار السكة الحديد .

وهذه الصحف التى يمكن ان يطلق عليها بحق «اوراق الحرية» هى شيء من الكثير الذى اعدته بريطانيا لضيوفها اثناء الحرب. وقد تنازل الكثيرون من الملاك عن منازلهم وممتلكاتهم ووضعوها تحت امر قوات الحلفاء الحرة فحولتها الى مراكز وطنية واندية ومطاعم واماكن للمقابلات والاجتماعات العامة يلتقى فيها المحاربون والدبلوماسيون والموظفون واللاجئون من المدنيين للمناقشة واستطلاع الاخبار ومطالعة الكتب وتناول مختلف اصناف طعامهم وسماع موسيقاهم القومية .

وقد اتخذ محبو الحرية بريطانيا ملجأ مؤقتا وتحصنوا فى مركزها الرئيسى ولن يصيبهم الفشل لان حرية الرأى والتفكير والصحف التى تقوم بالتعبير عنها هى شرايين الديموقراطية وبواسطتها تستطيع كل بلد ان تذيع ثقافتها وان تحفظ حرية الرأى والتفكير التى يضيق عن فهمها تفكير النازى الضيق الصارم .

الزراعة البريطانية

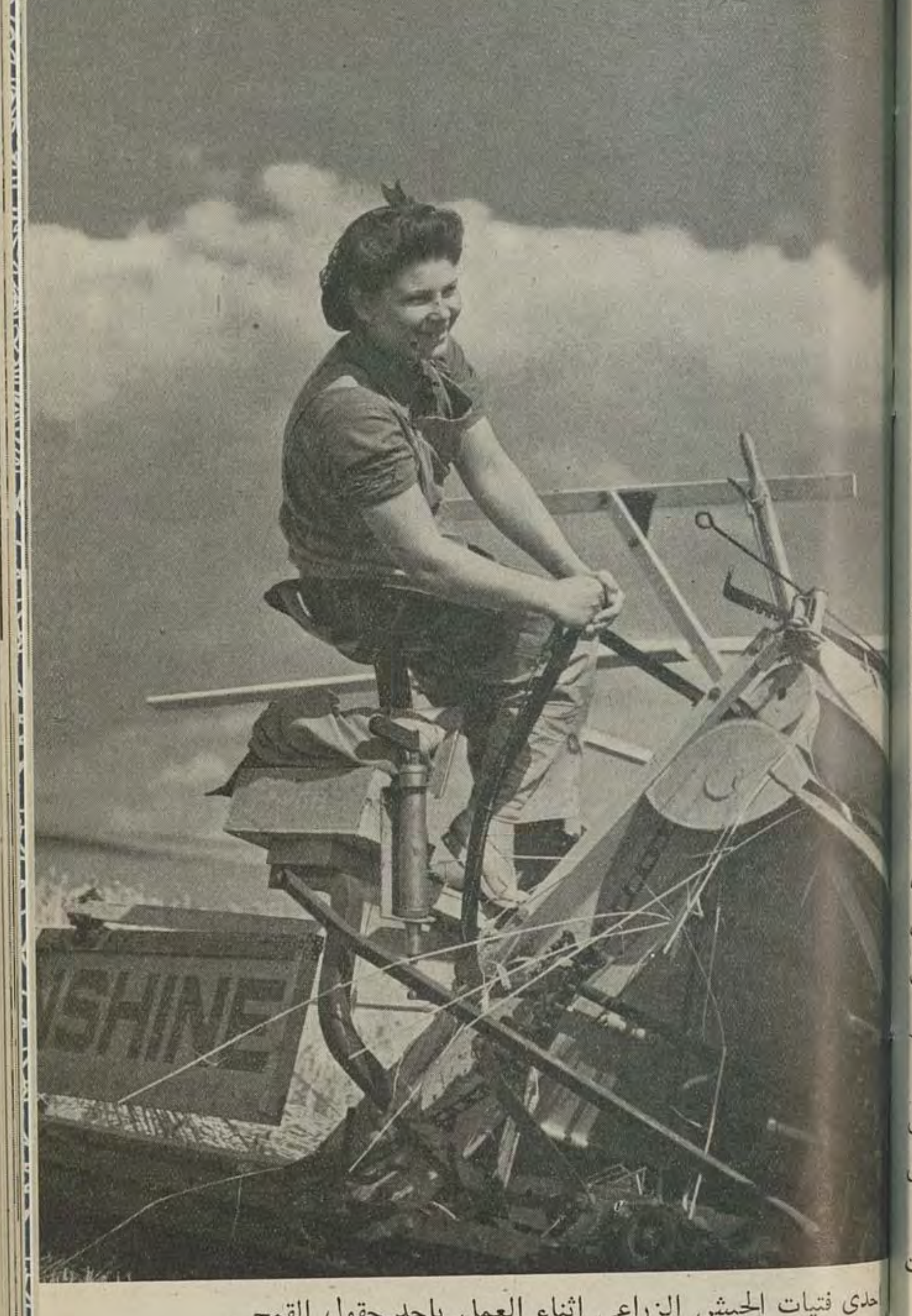
بقلم الاستاذ ج . أ . واطسون

بدأت الزراعة فى بريطانيا من نحو ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد بوصول بعض العناصر النيوليثية ممن كان لهم المام سابق بزراعة بعض المحاصيل كالقمح والشعير والقنب وتربية المواشى والاغنام . ولا شك ان هذه الصناعة قد مرت عليها تقلبات عديدة اذ كان غرض الفلاح لقرون خلت يقتصر على انتاج ما يكفيه وأسرته من قمح والبان ولحوم لاطعامهم، وصوف وقنب وجلود لكسائهم، اما من افدنته القليلة المحروثة واما من المراعى والغابات العامة التى تحيط بقريته . وكان نمو السكان حتى القرن السابع عشر بطيئا جدا ولذلك بقيت اراض واسعة صالحة للزراعة دون ان تستغل وبدأت الايدى تقتسم الغابات والمراعى والمستنقعات كلما زادت الحاجة الى الخبز .

ولم يحل القرن الخامس عشر حتى كان فن الزراعة قد تقدم بدرجة ان انجلترا او على الاقل المناطق الجنوبية منها استطاعت ان تنتج ما يزيد عن حاجة سكانها وان تصدر بعض الحاصلات الزراعية . وكانت الاراضى والايدى العاملة الزائدة قد اوقفت على تربية الاغنام فاضحى الصوف اهم ما تصدره انجلترا . واصبح مركز انجلترا بالنسبة لصناعات الصوف بالفلاندر ايام الملكة اليزابيث كمركز استراليا لصناعات الصوف بيوركشير فى ايامنا هذه .

وفى خلال القرن السابع عشر زاد عدد السكان مصحوبا بارتفاع فى مستوى المعيشة الامر الذى استدعى استعمال وسائل اكثر اجداء فى فلاحة الارض .

وكان اكبر الاعمال التى تمت حينئذ هو تجفيف جزء كبير من المستنقعات



احدى فتيات الجيش الزراعى اثناء العمل باحد حقول القمح .

وتم ذلك بمساعدة المهندسين والعمال الهولنديين . وبذلك امكن الفلاحون البريطانيون ان يزرعوا جانبا مما يعرف الآن بانه اخصب اراضى انجلترا . ويمكن ان نتابع من هذا الوقت آثار بداية ثورة عظيمة فى فن الزراعة وهى انماء نبات البرسيم واللفت والبحث عن طرق جديدة لحصاد دورى كان من شأنها بعد ذلك ان ساعدت كثيرا على زيادة انتاج البلاد فى الحبوب واللحوم . وكان الفضل فى هذا التحسين، كما فى استيراد النباتات الجديدة، لاهالى بلاد الفلاندر التى كانت فى ذلك الوقت اكثر بلاد اوروبا تقدما فى الزراعة .

وبقيت انجلترا حتى سنة ١٧٦٠ بلادا للزراعة والمراعى يبلغ عدد سكانها نحو سبعة او ثمانية ملايين نسمة فقط . وكان تقدم الزراعة لا يزال بطيئا، وكان كل تغيير للاساليب الزراعية اذا صح ان يقال ان الفلاح البريطانى غير اساليبه البتة ان يكتفى بتقليد بعض اساليب نظرائه على الجانب الآخر من القنال الانجليزى .

وكانت المائة سنة التالية، اذا قيست بما سبقها، فترة انقلاب وتقدم لا مثال له . ذلك لان بريطانيا العظمى اصبحت بلادا صناعية وزاد عدد سكانها ثلاث مرات . وصارت الزراعة، بعد ما كانت حرفة تعتمد على اطعام الفلاح نفسه، حرفة منظمة غرضها تموين المدن واسواقها . ولكن لم يكن فى الامكان استيراد كميات كبيرة من المواد الغذائية . وكان القمح اكثر الحاجيات استيرادا . على انه حتى عام ١٨٥٠ كان نحو سبعة اثمان حاجة البلاد من الخبز مصنوعا من القمح الذى ينتج فى بريطانيا .

وقد تطلب اطعام العدد المتزايد من سكان البلاد مجهودا متزايدا من فلاحيها وحمل ذلك عددا كبيرا من اقدر رجال ذلك العصر على الاشتغال بالزراعة . على ان الكميات الوافرة للتموين بقيت مع ذلك محدودة . وكانت هذه القلة ظاهرة ايام حروب نابليون . واحدث انتشار الآفات فى زراعة البطاطس المجاعة فى عام ١٨٤٥ فى ايرلندا وغرب اسكتلندا حيث حل البطاطس منذ عام ١٧٦٠ محل الشوفان كمادة

التغذية الاساسية . وقد حصل العمل فى سبيل زيادة الانتاج الزراعى من وجهين . فمن جهة جففت بعض المستنقعات وازيلت الغابات وسمدت مساحات واسعة من البرارى وحفرت استعدادا لزراعتها . وكانت الاراضى التى اعتادت الاغنام الرعى فيها قد جردت من عنصر الفوسفات على تعاقب الاجيال فسمدت بسماد العظام الذى اكتشف الفلاح البريطانى مزاياه من نحو ٥٠ عاما قبل ان يثبت ليبيج اهمية الفوسفات فى تسميد النباتات . ومن جهة اخرى فقد حصل انقلاب فى اساليب الزراعة فى الاراضى المنزرعة ترتب عليه زيادة فى المحصول . وكان اساس هذه الطريقة الجديدة زراعة الحبوب وزراعة مواد غذاء الماشية بالدور مع زيادة عدد الماشية وبذلك تزيد خصوبة الارض وتصل الى مستوى جديد .

وجاء بعد الذين اشتغلوا باصلاح الاراضى هؤلاء الذين اشتغلوا بتحسين تربية المواشى مثل باكويل وكولينجز وجون ايلمان وغيرهم الذين ابتدعوا طرقا جديدة اكثر نفعا فى تحويل اللفت والبرسيم الى لحوم والبان . وقد كانت الفصائل الجديدة التى تطورت فى انجلترا فى تلك الايام وهى فصائل المواشى من نوع شورتهورن وهيرفورد وانجاس وفصائل الاغنام من نوع ليستر وساوثداون ورومنى وغيرها من الانواع هى التى قامت عليها صناعات اللحوم فى العالم .

وبين عامى ١٧٦٠ و ١٨٧٠ استعادت بريطانيا قيادة العالم فى الزراعة . وتمكن رجل اسكتلندى اسمه جيمس سمول ان يثبت ان رجلا واحدا ومعه حصانان اذا اعطى محراثا وضع تصميم صنعه على اصول سليمة يستطيع ان يحرث من الارض حراثة جيدة مثل ما كان يحرثه رجلان معهما اربعة خيول بالاساليب القديمة . وكان جون فاولر الانجليزى هو الذى صقل استعمال القوى الميكانيكية فى معدات الحرث . واخترع رجل اسكتلندى اسمه اندرو ميكل آلة الدراس كما كان جون ريد الانجليزى هو اول من استعمل الانابيب المستديرة لتصريف مياه الاراضى وامكن بذلك تجفيف الملايين من الافدنة والاستفادة بزرعها . وكان لوز وجيلبرت فى



آلات لحصاد القمح تديرها الفتيات البريطانيات اللائى احترفن الزراعة .

روثامستيد اللذان وضعا اساس علم الزراعة . كما امكن للوز بواسطة اختراع السوبرفوسفات ان يكفل لمعهد روثامستيد مبلغا من المال كافيا لاكمال ابحاثه . ولم يكن هناك حتى عام ١٨٥١ منافس للزارع البريطانى فى عمله . وفى ذلك العام بينما كان فاولر مشتغلا بابحاثه عن المحراث البخارى وصلت آلة الحصاد «ماك كورميك» من الولايات المتحدة الامريكية فعد وجودها اكبر حادث فى تاريخ الزراعة البريطانية .

ولم يحل عام ١٨٦٠ حتى كانت مهارة الزارع البريطانى وانتاجه الذى يكاد لا يصدق ومجموع المواشى التى يتعهدها فى مزرعته مثلا لا يبارى فى العالم اجمع . وفى لوثيان باسكتلندا حيث كان المستوى الفنى يعتبر اعلى من غيره كان كل فلاح تقريبا يتعهد بتدريس فن الزراعة اما لبارون المانى شاب او كونت دانمركى او ابن عين من اعيان الانجليز . وفى الوقت نفسه كان المهاجرون من مناطق بريطانيا الزراعية ينقلون اساليبهم ومهارتهم الى القارات الجديدة .

ونحن لا نزال نتكلم عن عام ١٨٦٠ كالعصر الذهبي للزراعة البريطانية . ولكن العشر سنوات التى تلتها شاهدت بدء تدفق قمح البرارى الى الموانى البريطانية بكميات متزايدة وردت اثناءها اول شحنات اللحوم المثلجة تصل من امريكا ونيوزيلندا . فقد كان القمح واللحوم هما عمادا الزراعة البريطانية بلا شك . ولذلك كان تدهور اولها ثم ثانيها يعد كارثة عظمى على الزراعة ترتب عليها خراب كثير من الفلاحين الذين كانوا يعيشون على تربية المواشى وزراعة القمح قبل ان يدركوا ان الامل فى نجاتهم انما هو طريق الاهتمام بانتاج الالبان والطيور والفواكه والخضروات . وحل الخراب بكثير من المزارعين فى الاراضى الضعيفة التى تم اصلاحها حديثا ولم يكن هناك وسيلة لانقاذهم . وكان الواقع المؤلم ان الارض التى كانت تنتج ارباحا عظيمة حوالى عام ١٨٦٠ لم تعد تفى بنفقاتها على معدل الاثمان الشائعة بعد ذلك بثلاثين عاما . وكان الفلاح يفضل دائما ان يحل به الخراب على ان يعلن عجزه عن مواصلة كفاحه .

وفى خلال العشرين عاما الاولى من هذا القرن كان ينتظر ان الفلاح فى طريقه الى اعداد نفسه لهذه الحالة الجديدة وللنظام الجديد فى اسواق الاطعمة فى العالم وقد وجد مجالا لمهارته وعمله فى الاهتمام بتحسين المراعى وانتاج الالبان . وامكن ان يحس بتزايد الطلب على الالبان والطيور والبيض والخضروات وانواع منتجات البيوت الزجاجية وحتى احسن انواع اللحوم المحلية . وكانت لا تزال هناك حركة تصدير للسلالات الممتازة من الخيل والمواشى والاغنام وفصائل الخنازير . ولكن حركة التجارة العالمية تعطلت للاسف كما هو معروف بعد سنة ١٩٢١ ووجد الفلاحون فى العالم اجمع انفسهم مضطرين الى المنافسة الشديدة للبيع فى اسواق كان عدد المشترين فيها دائما قليلا . وكانت النتيجة فى بريطانيا وغيرها ان غمرت الديون الفلاحين وتدهور الانتاج الزراعى وتأثرت خصوبة الارض وقلت قدرتها على الانتاج .



محراث بريطانى يديره محرك قوته ٤٥ حصانا ويمكنه حراثة الارض بمعدل ستة افدنة فى اليوم .



محراث زراعى مزدوج اثناء العمل بمزرعة بريطانية .

والتربة البريطانية فى الواقع غير قابلة للانهيار وتأثير الرياح . ومشكلة التفتت ليست فى الواقع الا مسألة محلية ولكن كمية الجير التى تكونت على ممر الاجيال فى التربة بدأت تنفذ، وبدأت المزارع التى كانت قد استخلصت من البرارى وانتزعت منها تعود برارى ثانية . كما ان المصارف التى انشأتها الاجيال السابقة تلفت وما كان بالامس مستنقعات اصبح مستنقعات ثانية . وبدأت تنفذ كميات الفوسفات التى اودعت الارض . وربما رأى الانسان حقولا كانت قد انتزعت من اراضى الغابات وكانت تنبت القمح الجيد حوالى عام ١٨٦٠ وقد كانت مراعى جيدة فى عام ١٨٩٠، تتحول الى برارى تتخللها شجيرات صغيرة .

وكانت هذه هى المشكلة التى واجهت الفلاح فى سنة ١٩٣٩ عند ما طولب بان يزيد من انتاج ارضه كل ما امكن وان يسترد فى اقل وقت

ممكن كل ما فقد من الاراضى الزراعية فى جيلين وان يعيد الانتاج الى مستوى عام ١٨٧٠ . وكان معدل نجاحه فى هذا السبيل متأثرا بعوامل لا علاقة له بها مثل السرعة التى يمكن بها اعداد الجير ونقله الى المزارع ثم عدد الرجال والماكينات التى يمكن تشغيلها فى تطهير الانهر والمجارى ثم عدد السفن الناقلة للفوسفات من امريكا الشمالية ، واهم من ذلك كله تقديم ما يلزم من ماكينات النقل والايدى العاملة التى قلت بطبيعة الحال .

ومع ذلك ماذا امكن ان يتم حتى الآن؟ كانت الاراضى المزروعة فى انجلترا واسكتلندا وشمال ايرلندا حتى عام ١٩٣٩ اثنى عشر مليون فدان ويمكن القول بثقة انها ستصل فى سنة ١٩٤٣ الى ١٩ مليون . وزادت مساحة الاراضى المزروعة قمحا بمقدار النصف كما ان انتاج مزارع البنجر فى هذا الفصل سيصل الى اقصى ما يمكن ان تستهلكه المصانع الموجودة . وستتضاعف مساحة الارض المنزرعة بطاطس . وليس هناك رغم كل ذلك ما يدل على بدء تأثر المحاصيل بضغط ظروف العمل . اما فيما يتعلق

آلة زراعية ذات عجلات دودية لتطهير الاراضى وجعلها صالحة للزراعة .





آلة زراعية حديثة للحصاد باحد المزارع البريطانية .

بالمواشى فقد فقد ما يقرب من خمسة ملايين طن من الذرة والشعير والكسب وغيرها من المواد التى كان يعتمد عليها فى اطعامها . ومع ذلك فان عدد اكثر المواشى اهمية وهى ابقار الالبان لم ينقص . ولو ان كمية اللبن قد تأثرت الى حد ما الا انه لا يزال كافيا لجميع المستهلكين . كما ان انتاج اللحوم قد امكن ان يحتفظ به على مستوى لم يكن ليحلم به حتى اشد المتفائلين رغم خسارة مساحات واسعة من اراضى المراعى ورغم تناقص مواد تغذية المواشى .

والسبب الرئيسى فى هذا النجاح بسيط . فبريطانيا اليوم تنتج من الاطعمة اكثر مما كانت تنتجه ايام السلم وهى تنتجها بمجهود رجال اقل فى العدد ، لانها لجأت الى استخدام القوى الميكانيكية بشكل أعم فى اساليب الزراعة وبذلك انتشر استخدام الآلات الميكانيكية بسرعة وهو امر لم يكن ليتم الا ببطء لولا وقوع الحرب . وبريطانيا اليوم صاحبة اكبر مزرعة ميكانيكية واكثرها تقدما فى اوروبا كلها .


MATHER & PLATT LTD
MANCHESTER
تستعمل صناعة النسيج الايرانية آلات طباعة
ماثر اند بلات
يبين هذا آلة طباعة ماثر اند بلات ذات الستة الوان
وهى جزء من هيئة الآلات الكاملة بمصنع هام لطباعة
الحرير بايران استوردت قبل نشوب الحرب الاوروبية
بزمان قليل .
وقد تخصصت شركة ماثر اند بلات لاكثر من مائة
سنة فى تصميمات وصناعة وتركيب آلات تبيض وصباغة
وطباعة جميع انواع المنسوجات .
MATHER & PLATT, LIMITED,
PARK WORKS
MANCHESTER 10.